روائع المسرح العالمي
٦٩

المسامر

تأليف : جون اوسبورن
ترجمة وتقديم : محمد توفيق مصطفى
مراجعة : يحيى حقي

THE ENTERTAINER
By
JOHN OSBORNE

اهداءات ٢٠٠١
ا.صلاح راتب
القاهرة

الدار المصرية للتأليف والترجمة

مقدمة

ولد جون أوسبورن فى لندن فى الثانى عشر من ديسمبر سنة ١٩٢٩ لأبوين من الطبقة العاملة هما توماس جودفرى أوسبورن ومارى بور ، وتزوج من نيللى بياتريس .

وتلقى أوسبورن قسطه من التعليم العام فى مدارس الشعب دون أن تتيح له ظروفه الخاصة ما قد يتاح لأمثاله اليوم من فرص التعليم العالى فى الجامعات .

وحاول فى مستهل حياته العامة أن يشتغل بالصحافة ولكنه لم يلبث أن تحول عنها الى المسرح حيث بدأ العمل ممثلا متواضعا فى احدى فرق الأقاليم ، وكان ظهوره على المسرح أول مرة فى شهر مارس سنة ١٩٤٨ حيث قام بدور مستر براسلز فى مسرحية « لا توجد غرفة خالية فى الفندق » على مسرح الامباير فى مدينة شيفيلد .

وفى شهر مايو سنة ١٩٥٦ ظهر أوسبورن للمرة الأولى أمام جمهور لندن على مسرح الرويال كورت (البلاط الملكى) ليلعب دور أنطونيو فى مسرحية « دون جوان » ، ثم دور ليونيل فى مسرحية « موت الشيطان » مع فرقة المسرح الانجليزى .

غير أنه فى اليوم الثامن من ذلك الشهر على وجه التحديد قدمت هذه الفرقة مسرحية « أنظر الى الوراء غاضبا » لجون أوسبورن ، فكان ذلك الحدث مولد ثورة عارمة اجتاحت المسرح البريطانى فى جميع الاتجاهات .

* * *

ومثل سائر الثورات لم تكن ثورة المسرح البريطانى نتيجة مصادفة مفاجئة أو حادث عارض ، فقد سبقتها نذروارهاصات فى المحيط الخاص للمسرح وفى المحيط العام للفكر على السواء .

ففى محيط المسرح الخاص كانت سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى منتصف الخمسينات سنوات جدباء اضطر المسرح الانجليزى خلالها الى استيراد معظم بضاعته من انتاج الكتاب الأوروبيين بل والأمريكيين ، والاعتماد فى أغلب ماقدمه بعد ذلك على احياء تراثه القديم .

ومن هنا نشأت فى أذهان بعض قادة الحركة المسرحية فكرة انشاء فرقة جديدة تعتمد على مجموعة من الكتاب الشبان الذين لم يتجاوز سن الأربعين ، ممن تستهويهم الكتابة للمسرح لو أزيلت من طريقهم معوقات المديرين التجاريين والممولين الذين لا يفكرون الا فى الأسماء اللامعة حرصا على ايرادات الشباك .

وبعد مفاوضات طويلة حول مشروعات مختلفة تحطمت على

صخرة التمويل ، استطاع جورج ديفين فى أوائل سنة ١٩٥٦ أن يشكل فرقة المسرح الانجليزى ، وأن يستأجر لها دار مسرح الرويال كورت بعقد طويل الأمد ، مدته أربعة وثلاثون عاما .

وهكذا ولدت فرقة كتاب الطليعة .

أما فى المحيط الفكرى البريطانى العام فقد كانت سنة ١٩٥٦ سنة تدخل الحكومة فى ثورة المجر ثم فى حملة السويس ، هذا التدخل الذى لم تجن منه بريطانيا غير العار والمذلة وسقوط الهيبة فى كافة المحافل الدولية ، ولم يعقب فى نفوس الشعب البريطانى غير السخط والمرارة والغليان ، وبخاصة فى محيط الشباب فى الجامعات وأوساط المثقفين بعامة . فاختفت لغة المداورة والتحفظ . واستبدت بالكتاب والمفكرين نزعات السخط والغضب ، وشرعت الألسنة والأقلام تجرى فى الكيان البريطانى كله أكبر عملية تشريحية تعرض لها فى العصر الحديث ، تناولت من الناحية السياسية جسد الامبراطورية المتهالك المنهار ، ونفذت من الناحية الاجتماعية الى بؤر الانحلال واليأس والبؤس الذى أصاب سواد شعب الانجليز نتيجة سقوط الامبريالية وارتداد ادعياء « احكمى يابريطانيا » ــ مهزومين مثخنين بالجراح ــ الى صخرتهم الناتئة فى ملح البحار فيما بين المانش والأطلسى ؛ ونشيدهم الجديد ــ كما كتبه أوسبورن :

« أيتها الصخرة التى نحتت لى منذ القدم

دعيني أخبىء نفسي فيك »

في هذا الجــو العــاصف كتب أوسبورن ــ وقدم المسرح الانجليزى ــ مسرحية « انظر الى الوراء غاضبا » ، وهى صيحة السخط والغضب على المجتمع البريطانى ومن أجله ، ثم مسرحية « المسامر » التى بين يدى القارىء ، وهى صيحة السخط والغضب على الامبراطورية البريطانية المنهارة ومن أجلها .

ويعتبر أوســبورن بهاتين المسرحيتين رائد الكتاب الساخطين من شباب مسرح الطليعة ، وأول كاتب درامى اســتطاع بجرأته وفكره أن يقحم المسرحيــة الحديثــة على المسرح الانجليزى بما يشبه الصدمة المزلزلة . بل ان السينما بدورها تلقفت المسرحيتين وأخرجت كلا منهما فى فيلم اضطلع بالبطولة فيه نجوم عالميون .

ولقد كان عرض مسرحية « انظر الى الوراء غاضبا » نقطــة تحول فى تيار التأليف فى انجلترا بصفة عامة ، فقد كان أوسبورن فى السادسة والعشرين من عمره ، وحظيت مسرحيته بنجاح ساحق لدى الناقدين ولدى النظارة جميعا ، فكان هذا حافزا لطائفة كبرى من الشباب على الكتابة للمسرح بعد أن كان اتجاههم الغالب الى القصة وغيرها من قوالب التعبير ، وصاحب هــذا التحول ظاهرة غريبة هى أن هؤلاء الكتاب الشبان وجدوا الفرق التى تخــرج لهم انتاجهم ، ثم وجدوا الجمهور الذى يقبل على مشاهدته .

ولعــل الظاهرة الأغــرب فى تاريخ المسرح البريطانى هى أن

هؤلاء الكتاب الوافدين الجدد معظمهم من أبناء الطبقة العاملة . فقد ظل مسرح الحى الغربى فى لندن (الحى الأرقى فى المدينة) سنوات وسنوات وقفا على الطبقة الوسطى ، كتاب من الطبقة الوسطى — ممن أكملوا تعليمهم الجامعى على الأغلب — يكتبون لجمهور من الطبقة الوسطى . أما بعد أوسبورن فقد انهار هذا الحاجز ، وظهر الى جانبه من كبار كتاب المسرح آلان أووين وكليف اكستون وهارولد بنتر وغيرهم ممن شقوا طريقهم من صفوف العامة دون تعليم جامعى ، بعد سنوات من العمل كممثلين عاديين .

ولئن كان هذا هو الأثر المباشر لأوسبورن فى محيط المسرح الانجليزى ، فقد كان له فيه أثر آخر غير مباشر لا يقل عنه استحقاقا للتسجيل : فقد بدأت فرقة المسرح الانجليزى نشاطها بتقديم مسرحيتين لآنجوس ويلسون وآرثر ميلر ، وكانت المسرحية الثالثة هى مسرحية أوسبورن « انظر الى الوراء غاضبا » ، ولم يحل أول الخريف حتى كانت خسائر الفرقة قد بلغت نحو ١٣,٠٠٠ جنيه استرلينى ، ومن ثم عرضت مسرحية أوسبورن ثمانية أسابيع متوالية فكان ايرادها لا يزيد على النفقات الا بقليل. وفى بدء الأسبوع التاسع عرضت المسرحية على شاشة التليفزيون فقفزت ايرادات المسرح من ٩٥٠ جنيها فى الأسبوع الى نحو ١٣٠٠ جنيه فى الأسبوع التالى ثم الى ١٧٠٠ فى الأسبوع الذى بعده . وبالاختصار فقد حصلت الفرقة من هذه المسرحية ومن

مسرحية أوسبورن الثانية « المسامر » فى خلال السنوات الخمس الأولى من حياتها على أرباح صافية قدرها ٥٠٠,٠٠٠ جنيه استرلينى. (تدخل ضمنها ايرادات السينما والتليفزيون وحقوق الأداء الخ) .

وهذه الأرباح التى يرجع الفضل فيها لمسرحيتى أوسبورن هى التى مكنت الفرقة من تقديم المسرحيات الأخرى ذات القيمة الفنية التى قد لا يتاح لها مثل ذلك الحظ من النجاح التجارى .

* * *

وقد كتب أوسبورن قبل هاتين المسرحيتين اللتين عرضتا فى العاصمة عددا من المسرحيات التى لم تكن نشرت أو عرضت هناك حتى ذلك الحين ، مثل مسرحية « جسلة تذكارية على قبر جورج ديلون » التى كتبها بالاشتراك مع أنتونى كريتون ، ومسرحية « عالم بول سليكى الخاص » . كما كان له مسرحيتان عرضتا خارج لندن ، الأولى مسرحية « الشيطان المستقر فى جسده » التى كتبها بالاشتراك مع ستلا ليندن ومثلت فى هادرسفيلد سنة ١٩٥٠ ثم أعيد تمثيلها على مسرح الپمبروك فى كرويدون سنة ١٩٦٢ باسم « دعوة الى الحب من روبرت آووين » وهى تدور حول شاب من احدى قرى ويلز يظن به مواطنوه الغفلة ، بينما يرميه أفراد أسرته بجنون الجنس ، ولكن طالب طب وافد على القرية يكتشف فيه مواهب أصيلة . غير أن الشاب لا يلبث أن يرتكب جريمة قتل فتاة من بنات القرية حين حاولت أن تنسب اليه طفلا حملت به فى سفاح .

والثانية وهى مسرحيـــة « العــدو الشخصى » التى كتبهــا بالاشتراك مع أنتونى كريتون ومثلت فى هاروجيت سنة ١٩٥٥ ، تعرض موقف أحد الجنود ممن وقعوا فى الأسر فى حرب كوريا ثم أفرج عنه ، حين رفض العودة الى الوطن ، وما أثاره موقفــه هذا بين أهله وأصدقائه من انفعالات وتعليقات . ومما هو جدير بالذكر ان الرقابة تناولت بالحذف أجزاء كبيرة من هذه المسرحية عند عرضها ، منها فصـــل كامل عن الشذوذ الجنسى فى محيط المحاربين .



غير أن مسرحية « انظر الى الوراء غاضـــبا » هى التى رفعت أوسبورن الى مصاف الشهرة وجعلته بحق رائد المسرحية الحديثة، وأثارت من الضجة ما اعتبرت به ــ كما قدمنا ــ ثورة فى تاريخ المسرح الانجليزى . ولذا فان من حق القارىء علينا أن نقف به قليلا عند هذه المسرحية متسائلين عما فيها من خصائص أضفت عليها هذه الصفات

فأما من حيث الشكل فليس فى المسرحية جديد يدعو الى كل هذه الضجة ، نعم انهـــا متينة البناء ، متناســـقة مواقف الصعود والهبوط ، محكمة التوقيت ، الا أنهـــا لا تخرج فى جملتهـــا عن النمط التقليدى للمسرح الواقعى .

واذن فالمضــــمون ــ لا الشـــكل ــ هو الذى أكسب هـــذه المسرحية وصفها الحديث وخرج بها عن نطاق المسرح التقليدى ،

ونريد بالمضمون هنا الشخصيات التى عرضتها واللغة التى ترجمت بها هذه الشخصيات عن أنفسها . فبطل المسرحية « چيمى پورتر » انما يمثل جيلا كاملا ، هو جيل ما بعد الحرب الذى اصطلى بويلاتها وعاش عقابيلها ، ثم تطلع الى الخلاص والفرج على يد حكومة العمال التى جاء بها فى سنة ١٩٤٥ ، ولكنه منى بخيبة الأمل حين فشلت تلك الحكومة فى تحقيق شىء من أمانيه ، وغدا بعد ذلك جيلا ساخطا متمردا يستهويه التحلل من أى قيد ومن كل قيد .

وچيمى من ذلك الطراز الميال الى الحاق الأذى بالنفس ، يبدو مستوحشا منعزلا عن العالم فى منفاه الذى اختاره لنفسه ، يستمد القوة من مواطن ضعفه ، ويستقى البهجة من معين بؤسه وحرمانه . ونحن نعلم من سياق المسرحية أنه حاصل على درجة جامعية ، وانه شديد الغرور بعلمه وثقافته ، لا يقرأ الا كتب التراث العميقة ولا يستمع الا لموسيقى الجاز الأصيلة ، ولا يطالع الا صحف الأحد الأنيقة ، غير أنه يعيش فى مسكن حقير فوق سطح أحد منازل حى كئيب ، ويكسب عيشه من بيع الحلوى فى (كشك) صغير فى سوق المدينة . كل شىء فى حياته باعث على السخط والشكوى ، فهما الطابع اللازم فى كل ما يصدر عنه من حديث .

على أن الضحية الأولى لكل هذا انما هى زوجته أليسون التى يكن لها حقدا دفينا بسبب انتسائها الى أسرة من سراة الطبقة

الوسطى ، فهو يداوم على تعذيبها وايلامها ليخضعها ويذلها عند قدميه . غير أنها ، وقد علمت أن خير وسيلة للدفاع عن نفسها هى اصطناع الهدوء وعدم الاكتراث ، تأبى ما استطاعت أن تستجيب لنزعته .

ويمضى الزوجان فى هذه الحرب على مرأى من كليف الذى يشاركهما مسكنهما العجيب ، ويشهد بعين العطف مبلغ افتيات جيمى على زوجته ؛ ولكنه لا يستطيع أن يحدث أثرا فى عيشتهما المعقدة .

ثم تظهر شخصية رابعة هى هيلينا ، وهى ممثلة من صديقات أليسون ، قوية الشخصية شديدة التعالى ، تهبط ضيفة على البيت ، فيشتد تأزم الأمور لمجرد حضورها ، وتزداد ثورات جيمى على اليسون عنفا ، فتشير عليها هيلينا أن تغادر البيت وتلجأ الى منزل أسرتها ، فتخرج هذه وهى تحمل فى أحشائها جنينا لم تجد الفرصة لاخبار زوجها بحلوله . ولكن هيلينا لا تلبث — فى نهاية الفصل الثانى — أن تقع بين ذراعى جيمى .

ويرتفع الستار فى الفصل الثالث عن جيمى وقد استقر على معاشرة هيلينا واستراحت نفسه اليها ، ما دام لا يلتزم أمامها بشىء ، ولا تربطه بها الا شهوة البدن . وعندما يعلن كليف لجيمى رغبته فى ترك البيت والبحث عن مسكن آخر يجيبه هذا بقوله :

« انه لأمر عجيب . لقد كنت على الدوام مخلصا كريما وصديقا

وفيا ، ولكنى على أتم الاستعداد لأن أراك تمضى باحثا عن مسكن جديد تستقل فيه بنفسك ، كل هذا من أجل شيء أريده من هذه الفتاة ، شيء أعلم من صميم قلبى انها لا تستطيع اعطاءه . اناث تساوى عشرين هيلينا فى نظرى أو نظــر أى انسان ، ولو كنت مــكانى لفعلت نفس الشيء ..... لمــاذا ، لمــاذا نترك هــؤلاء النساء يستنزفن دماءنا حتى الموت ؟ أما تلقيت قط خطابا مختوما عليه عبارة « كن كريما وتبرع بدمك » ؟ ان مــدير عام هيئــة البريد انما يفعل هذا لحساب كل نساء العــالم . فى اعتقادى ان أبناء جيلنا لم يعودوا قادرين على أن يموتوا فى ســبيل قضايا سامية ، فقد فعــل غيرنا هــذا نيابة عنا جميعــا فى الثلاثينيات والأربعينيات حين كنا ما نزال صبية ، ولم تبق أى قضية تتسم بالسمو أو الشجاعة . ولو أن الواقعة الكبرى وقعت فقضى علينا جميعا فلن يكون ذلك فى سبيل الهدف الرفيع الأســبق ، وانما يكون فى ســبيل الجرىء الجديد من لا شيء شــكرا لك ، مما لا هدف وراءه ولا مجد فيه كالقاء الانسان بنفسه تحت عجلات الأوتوبيس . لا لم يبق لنا شيء يا ولدى سوى أن نسلم أنفسنا للنساء ليذبحننا » .

وتعود أليسون الى البيت وقد فقدت طفلهــا . وحين تحاول هيلينا أن تخرج نفسها من الورطة المؤلمة التى تردت فيهــا يقول لها جيمى :

« لا خـير فى أن تحاولى مخادعة نفسك فى شأن الحب فانك لا تستطيعين أن تقعى فيه كأمر هين دون أن تلطخى يديك ، انه يستغرق العضـلات والأحشـاء . واذا كنت لا تحتملين فكرة تلويث روحك الطاهرة فخير لك أن تتخلى عن فكرة الحياة كلها وتتحولى الى قديسة لأنك لن تستطيعى أن تعيشيها كما يعيشها الآدميون . فاما هذه الدنيا واما الآخرة » .

ثم يتجه الى أليسون ويقول لها :

« أكنت حقا على خطأ حين اعتقدت أن هناك نوعا من رجولة العقل والروح المتوقدة التى تبحث عن شىء يضارعها فى القوة . ان أثقل المخلوقات وأقواها فى هذا العالم تلوح أشدها وحدة ، كمثل الدب العجوز الذى يستهدى بأنفاسه ذاتها فى ظلام الغابة ، حيث لا أسرة تدفئه ولا قطيع يؤنسه . والصـوت الذى يبكى ليس لزاما أن يكون صادرا عن ضعيف » .

وحينذاك تفصح أليسون عن نفسها لأول مرة :

« لقد كنت مخطئة ... أنا لا أريد أن أكون محايدة ، ولا أريد أن أكون قديسـة . أريد أن أكون قضـية خاسرة ، أريد أن أكون موصومة تافهة . ألا تفهمنى ؟ لقد ذهب . لقـد ذهب . هذا الكائن الآدمى الذى لا حـول له فى أحشائى . كنت أظنه آمنا مطمئنا هناك . ما كان شىء يستطيع انتزاعه منى . كان ملكا

لى ووديعة بين يدى ولكنه ضـــاع . كان قصارى ما أرجوه أن أموت . ما عرفت حقيقة هذا الأمر من قبل أبدا ، وما كنت أعرف أنه يمكن أن يكون كذلك ، كل ماستطعت أن أفكر فيه وأنا فى غمرة الألم هـــو أنت وذلك الذى فقـــدته . قلت لنفسى آه لو استطاع أن يرانى الآن وأنا أشد ما أكون غباء وكآبة واستثارة للسخرية ، فهذا ما كان يتمنى لى أن استشعره . هذا ما يريد أن يعوم فيه ويسبح . انى لفى النار ، وانى أحترق ، وكل مايريده: أن أموت . لقد كلفه ذلك حياة طفله وأى أطفال غيره ممن عساى كنت ولدتهم . ولكن ما أهمية ذلك ــ هذا ما كان يريده منى . ألا ترى ؟ لقد أصبحت فى الوحل منكبة على وجهى أتمرغ فيه . أوه ، يا الهى ... »

وعندما يشعر جيمى آخر الأمر بما صنعت يداه ينهار ويمد يديه فيرفع زوجته المتهالكة عند قدميه ويضمها الى صدره متوســـلا اليها أن تكف عن البكاء ، مبشرا لهـــا بحياة زوجية مقبلة لهـــا حلاوة الشهد .

وقد أودع أوسبورن حوار المسرحية صيحات ســـخطه ونقده المرير لكل ما حوله من وجوه الحياة البريطانية وأحداثها . وهذه الصيحات هى بحق صميم الجرىء الجديد فى مسرحيته .

فقد أصبحت انجلترا فى نظره ــ وانه لمنصف صـــادق يتكلم بلسان الناس جميعا فى أركان العالم الأربعة ــ أصبحت انجلترا

بسياستها الخرقاء وطنا ضائعا مهلهلا يحار المواطن الانجليزى كيف يخلص له الولاء : « اعتقد أن الناس من أمثالى لا يفترض أن يكونوا على قدر كبير من الوطنية ... فنحن نستورد طبيخنا من باريس ، وسياستنا من موسكو ،وأخلاقنا من بورسعيد »

وأصبح من المسلم به عنده أن انجلترا قد غدت مستعمرة أمريكية من حيث المكان والزمان جميعا : « ان من أكبر دواعى الضيق أن تعيش فى العصر الأمريكى ، ما لم تكن أمريكيا طبعا ». لا بل أن الاستعمار الأمريكى يقتحم على الانجليز مخادعهم ويفتك بأعراضهم : « لعل كل أطفالنا سيكونون أمريكيين » .

وحتى رجال الدين عنده قد أصيبوا باللوثة التى أصابت السياسيين ، فهاهو أحد كبار الأحبار « يوجه نداء قويا يهز المشاعر الى سائر المسيحيين ليبذلوا كل ما يستطيعون للمعاونة فى صنع القنبلة الذرية » .

وهو يسخر من أبناء الجيل الماضى الذين يعيشون فى عالم اليوم بعقلية جامدة لم تحررها صدمات الواقع . فهذا الكاتب « مثله كمثل أبى ، ما زال يتطلع الى الوراء يرقب العصر الادواردى بنظرات حالمة » . وهذا الضابط السابق فى الكتيبة الادواردية السابقة ــ أبو أليسون ــ يعود من الهند بعد سنوات طوال من الدعة والفخفخة ، بعد أيام الصيف المشمسة ودواوين الشعر ووسائد الحرير وكل صور الحياة الرومانسية التىضاعت

بلا رجعة . ان أوسبورن نادم على كل هذا نيابة عنه ، « واذا لم يكن لك دنياك الخاصة ، فان من دواعى السعادة أن تندم على دنيا شخص آخر ولت وانقضت » . وهـــو يصفه بأنه « عجوز مسكين .... ليس الا واحدا من تلك النباتات المتعطشة المتخلفة من متاهات العهد الادواردى ، والتى تأبى أن تفهم لمــاذا توقفت الشمس عن الطلوع » .

لا بل ان « أمثال هؤلاء موجودون فى الحقيقة فى كل مكان يزحمونه بحيث لا تستطيع أن تتحرك بينهم . انهـــم فئـــة حالمة يقضـــون معظم وقتهم متطلعين الى المــاضى عسى أن يعـــود ، والمكان الوحيد الذين يستطيعون أن يروا فيه النور هو العصور المظلمة » . لقد اعتكف كل منهم « منـــذ زمان طويل فى كوخ نفسى جميل منقطع الصلة تماما بمشاكل القرن العشرين الكالحة».

وكذلك يسخر أوسبورن من طبقة السياسيين الذين يتوارثون التفاهة وخواء الرؤوس خلفا عن سلف . « انك لم تسمع أبدا بمثل هذا العدد الهائل من التافهين الذين أحسنت تربيتهم يخرج من تحت قبعة واحدة » . ان هذا الشاب العادى الفارغ الرأس « سينتهى به الأمر الى تقلد الوزارة يوما ما . هذا مما لا شك فيه ... ان معلوماته عن الحياة وعن أفراد البشر العاديين سطحية الى حد أنه يستأهل ان يمنح نوعا من الوسام مكتوبا عليه « من أجل السطحية فى الميدان » ... والى هذا فهو وطنى وانجليزى ،

وهو يرفض الرأى القائل بأنه وأمثـاله كانوا يتاجرون بأرواح مواطنيهم كل هذه السنين » .

* * *

ولقد كان من رأى بعض النقاد أن « انظر الى الوراء غاضبا » مسرحية مرتبكة مشوشة ، سواء فيما يريد المؤلف أن يقوله فيها ، أو فى الطريقة التى يقولها بهـا . ولـكن البعض الآخر رأوا أن لا أهمية لمثل هذا الاعتراض ، فالمسرحية تدور حول الأشخاص ، وليست تدور حول الأفكار بالضرورة . وليس المهم أن أوسبورن مثل لنا چيمى كمجموعة من المتناقضات ــ كما هو حال معظمنا ــ بل المهم أنه استطاع أن يجمع كل هـذه المتناقضات فى تشخيص درامى مقبول لانسان معقد جعل منه نقطة التقاء لأفكار كثير من الناس من أبناء جيل ما بعد الحرب ، ممن أحسوا بأن عالم اليوم يرفض أن يساير أهواءهم .

على أن الذى أخذ على أوسبورن بحق أنه يولى أبطاله من الرعاية ما يجعله يهبط بكافة الشخصيات الأخرى التى حولهم . فهو لا يضع أمام البطل غريما قوى الشخصية فتخرج التأثيرات الدرامية من الاحتكاك والتصارع بينهمـا . بل انه يعتمـد فى الاثارة ، أغلب ما يعتمد ، على الحوار المتدفق الذى يشد سمع المتفرجين .

غير أنه فى مسرحية « جملة تذكارية على قبر چورج ديلون » وضع بازاء البطل الشاب الغاضب شـخصية أخرى لا تقل عنه

قوة ، بل انهـا تلقى ظلال الشك على قوته واعتباره فى نهـاية المسرحيـة . ولعل هـذا هو أثر اشـتراك أنتونى كرينتون مع أوسبورن فى كتابة هذه المسرحية .

وچورج ــ بطل المسرحيـة ــ ممثل وكاتب . وهـو يحاول استغلال أفراد أسرة اليوت ، وهى أسرة ميسورة الحال ساذجة تعيش فى أطراف لندن . ومع أن رب الأسرة لا يأبه لچورج فان هذا الأخير ينفذ الى أغراضه عن طريق الأم ــ لأنه يذكرها بابنها المتوفى ، وعن طريق چوزى الأبنة الغبية الجامدة .

ويعتبر چورج من الفاشلين وان كان يعلل نفسه وسامعيه دائما بأنه فى انتظار النجاح ، وهو بطل أوسبورنى نموذجى من حيث تميزه بالسخط والقلق والاندفاع الى مهاجمة كل ما حوله دون هدف واضح . ويجد چورج فى روث ــ أخت مستر اليوت ــ ذات المبادىء اليسارية ، شخصية تشبهه فى كثير من النواحى ، فهى شيوعية سابقة انفصلت فجأة عن الحزب بعد سـبعة عشر عاما من الانتماء الناشط اليه ، ثم انفصلت بعد ذلك عن خطيبها بعد علاقة دامت ست سنوات لانها اكتشفت ان ارتباطهما لم يقم الا على أساس أكاذيب تافهة ملفقة . وهى مثل چورج غير واثقة من نفسها أو دنياها ، وهى غير راضية عن الوضع الذى استقرت فيه ، ولكنها لا تسيل لتغييره .

وفى لقاء عاصف بينهما ، يبدأ غزلا عاطفيا ولكنه يتحول فجأة

الى صدام عنيف . يفضح كل منهما خبيئة نفس صاحبه ، ويسلم جورج علانيــة بأنه انما يعيش على طائفــة من الأوهام ، وانه لا يعرف لنفسه فى الحق أى مقدرة أو موهبة . وبعد رحلة طوافة فى الأقاليم يجمع فيها بعض المــال ، يتزوج من جوزى ويعيش معها عيشـــة ريفية وهو واثق فى صميم نفسه من أن كلتيهما ، الزوجة والعيشة ، ليست على شيء من حقيقة ما يهواه .

ويعتبر النقاد أن هذه المسرحية بما فيهــا من التوازن ، ومن النفــاذ الى أعماق الشخصيات والاحاطة بأبعادها دون اخــلال بحرارة الحوار وقوته ، تعد أكمل أعمال أوسبورن المسرحية .

ويعترف أوسبورن صراحة بتأثره فيهــا بأعمال بريخت التى ألقت فى نفسه شعاعا من النور أعانه على تعرف حدود الواقعية ، والتحرر من قيودها .

ومن أجل هذا كان تأثير بريخت واضحا فى مسرحيته التاليــة ــ المسامر ــ فى عدد من المواضع .

ونؤجل الآن الكلام عن مسرحيـــة المسامر ريثما نلقى نظرة متكاملة على بقية أعمال أوسبورن التى تلتها . فقد كتب بعدها مباشرة مسرحية « عالم بول سليكى الخاص » التى وصفها بأنها كوميديا أخلاقية موسيقية ، والتى يرى عامة النقاد ــ وبحق ــ أنها أكثر مسرحياته فشلا ، خصوصا وأنها ظهرت عقب «المسامر» فجاءت ، بالمقارنة الى هذه الأخيرة ، مخيبة لأمل جمهور أوسبورن

الذى كان يترقب منه عملا آخر بارعا . والظاهر أن هذه المسرحية كتبت قبل « أنظر الى الوراء غاضبا » ، وكانت أول محاولة لأوسبورن فى مجال لا يصلح له البتة ، ألا وهو مجال النقد الساخر لرذائل المجتمع . نعم ان أكثر عبارات أوسبورن اشراقا فى مسرحياته غالبا ما تنطوى على نقدات اجتماعية ، ولكننا لو تأملناها عن قريب لوجدنا أن النقد الذى تضمنته لا يرتكز على دراسة موضوعية عميقة ، وانما هو نقد شخصى مرتبط بالذات التى يجرى على لسانها .

فالنقد الاجتماعى يستوجب قبل كل شىء قسطا من الموضوعية، بحيث يستقصى الناقد أبعاد مواطن الضعف فى موضوعه ثم يتجه اليها فى هجوم مباشر ، مستبدلا اظهار السخط والغضب بسلاح الكشف والتعرية والتهكم المدروس ، الأمر الذى كان أوسبورن أبعد ما يكون عنه فى مسرحية « عالم بول سليكى الخاص » . فقد هاجم فيها كل شىء كبر أو صغر بنفس الدرجة من التوقد والعنف ، فتهزأ من الكنيسة ، ومن الطبقة الارستقراطية ، ومن الصحف المنحطة ، ومن هؤلاء النساء المذكرات والرجال المؤنثين ، ومن فساد ذوق المراهقين فى الموسيقى ، ومن عاطفية المجلات النسوية ، ومن مشجعى الرياضات الدموية العنيفة والعقوبات البدنية ، ومن المناهضين للسامية والتفرقة العنصرية وصنع القنبلة الذرية ، ومن كل شىء آخر يجد فيه شباب الجيل

الساخطون موضعا اسخطهم ، حتى ليصدق على أوسبورن ق. هذا ما قاله هو نفسه فى مسرحية « أنظر الى الوراء غاضبا » عن چيمى بطل المسرحية ، من أن مجاهرته بالسخط على أى شىء وعلى كل شىء ، دليل على أنه انسان لا يعوّل عليه .

والواقع أنه لا يمكن أخذ أوسبورن على محمل الجد فى كثير من مواضع النقد التى استهدفها فى مسرحية « بول سليكى » ، وهو صحفى ينقل أحاديث المجالس ويهاجم أصحاب الشهرة ، أراد أوسبورن أن يجعل منه البطل الشرير فى المسرحية ، ولكنه لا يلبث أن يظهره كارها لعمله ، يتردد أحيانا بين الشك والضيق، ويرى نفسه ضحية الآلة التى يديرها قبل أن يكون محركها ، ثم يرفع عنه اللوم موجها اياه الى فئة غير محدودة ولامعروفة ، هى التى أجبرته على أن يختط فى حياته ذلك الطريق المنكود !!

ومثل هذا ، الأب ايفلجرين ، ذلك القسيس الذى يصوره لنا كالح الوجه مفسدا لا يلقى الا العظات الساخرة ، ويصب عليه أعنف النقد ، ثم لا يلبث أن يرينا انه انما كان قسيسا زائفا ينتحل رداء الكهنوت وهو ليس من رجاله على الاطلاق . واذا بالحملة العنيفة التى يتوهم المرء أنها موجهة ضد الدين أو رجاله تسفر عن « حملة سلام » ضد مقلدى رجال الدين ومنتحلى ثيابهم !!

وكذلك حملته على الطبقة الارستقراطية التى يظن القارىء

أنها من أهداف المسرحية الأولى ، حين يقدم لنا اللورد والليدى مورتليك رمزا لتلك الطبقة بامتيازاتها الجائرة وتقاليدها البالية ، ولكنه لا يلبث أن يجعلهما أحب شخصيات المسرحية وأولاها بالعطف ، حيث يخلع عليهما الرقة ودقة الحس والهيبة ، ويرينا أن لا عيب فيهما وانما العيب فى العالم المجنون المتلبد الذى وجدا نفسيهما فيه !!

أما قصة المسرحية فتدور حول طائفة من النساء والرجال — على رأسها بول سليكى وزوجته ابنة اللورد مورتليك — يتواضعون على تبادل العلاقات الجنسية غير المشروعة ، وعلى أن لا وسيلة للتخلص من ملل الحياة الزوجية الا بتغيير رفيق الجنس .

وتتضمن المسرحية أربع عشرة أغنية يصدق عليها ما يصدق على أغانى مسرحية المسامر من أن الرواية الشعرية ليست الميدان الذى يستطيع أوسبورن أن يبرز فيه .

* * *

وقد كتب أوسبورن للتليفزيون مسرحية وحيدة عنوانها : « موضوع فضيحة واهتمام » قدمتها هيئة الاذاعة البريطانية . وتتناول المسرحية حادثا تاريخيا هو محاكمة جورج هوليوك ، وهو آخر رجل حكم عليه بالسجن فى بريطانيا بتهمة الالحاد سنة ١٨٤٢ لأنه صرح فى اجتماع عام بأنه لا يعتقد بوجود الله .

والمسرحية تصوير دقيق لوقائع المحاكمة كما استقاها أوسبورن من الوثائق التاريخية ؛ وهى ترينا كيف أن جورج تولى الدفاع عن نفسه بنفسه رغم ما هو مصاب به من عاهة فى النطق ، ورغم جهلة التـــام بالقانون . كما ترينا أن هذا الرجل بدأ وانتهى لغزا صامتا لم تواته فصاحة اللسان الا مرة واحدة حين وقف بين يدى قضاته يدافع عن عقيدته الالحادية .

والطريقة التى كتبت بها هذه المسرحية تستحق الملاحظة . فقد اعتمد أوسبورن فيها على أسلوب الرواية ، حيث يظهـــر الراوية فى البداية ، ثم كل فترة ؛ ليخبر المشاهدين بما سيرونه من الوقائع، مع التعليق عليها فى بعض الأحيان .

وعلى سبيل المثال تبدأ المسرحية بالراوية يقول للمشـــاهدين : « مساء الخير » أنا محام . لا أهمية لذكر اســـمى لأنه ليست لى علاقة مباشرة بما أنتم مقبلون على مشاهدته . وما أقدمه اليـكم هو مجرد سمر ، فليس هناك ما يدعو الى أن تكفوا عمـــا أنتم مشتغلون به . والذى توشكون أن تشاهدوه هو رواية صادقة لحادث غامض فى تاريخ وطنى ، أو وطنكم . وكل ما سأفعله هو أن أسد مواضع الفراغ العارضـــة ببعض الايضاح الضرورى ، كما يفعل معكم مذيعو التليفزيون فى الواقع . ولن أزعجكم حقا بشىء غير مألوف » .

والواقع أن هذا الأسلوب محطم للمسرحية ، اذ ما تكاد تقف

على قدميها حتى يظهر فى الراوية فيباعد بينها وبين المشاهد، ويحول دون استمتاعه بتتبعها . والظاهر أن أسبورن قد تأثر فى هذه المسرحية بأساليب بريخت ، غير أن استخدامه للرواية ينطوى على فهم سقيم لأفكار بريخت ، فضلا عما فيه من غض لذكاء المشاهدين .



وبعد هذا كتب أوسبورن مسرحيته التاريخية الثانية « لوثر » واتبع فيها كذلك طريقة السرد التاريخى من واقع الوثائق ، وأجرى على لسان لوثر نفس الألفاظ التى نطق بها فى زمانه كلما استطاع أن يعثر عليها .

وقد أخذ على هذه المسرحية ما أخذ على غيرها من أن أوسبورن لم يحاول أن يجعل التأثير الدرامى نابعا من احتكاك الشخصيات المتكافئة واصطراعها ، بل اعتمد على الأحاديث الفردية (المونولوج) المثيرة . وحتى فى المنظر الذى يحتدم فيه النقاش بين لوثر وكاجيتان — مندوب البابا — نراهما لا يشتبكان أبدا فى المناقشة بحيث يكون كلام أحدهما جوابا على كلام الآخر ، بل يبدو حوارهما (ديالوج) وكأنه حديثان فرديان (مونولوج) جرى المزج بينهما بعناية .

كان من رأى أحد النقاد أن « لوثر » جاءت أعظم دليل مادى على مقدرة أوسبورن فى التأليف المسرحى . غير أن بعضهم لاحظ

أن التجاءه الى استثناء موضوعه من التاريخ فى هذه المسرحيـة وسابقتها : « موضوع فضيحة واهتمام » ، بعد وضوح تفاهة موضوع « عالم بول سليكى » ، لاحظوا أن هـذا قد يوحى بنضوب معين الخيال عند أوسبورن — ولو بصفة مؤقتة — فيما يتعلق بالقدرة على خلق الشخصيات الجديدة والمواقف الدرامية، واضطراره الى تكرار أشخاص وأحداث سبقت الى الوجود .

على أن مسرحية لوثر صادفت نجاحا شعبيا كبيرا ، وثناء حارا من غالبية النقاد ، الأمر الذى يدل على أن أوسبورن قد استطاع السيطرة على المادة التاريخية ، وصوغها فى مسرحية ، وهى وان لم تبلغ حد الكمال فى بعض التفصيلات فانها كتبت ببراعة اجتذبت جمـاهير المتفرجين ، وأثبتت أن أوسـبورن مالك لناصيـة فن التأليف المسرحى .



وفى سـنة ١٩٦٢ قدم مسرح الرويال كورت لأوسـبورن مسرحيتين كل منهما ذات فصل واحد تحت عنوان « مسرحيات لانجلترا » . والمسرحيتان هما : « دم آل بامبرج » و « تحت الغطاء العادى » .

وأولى هاتين المسرحيتين هى — باتفاق جميع النقاد — أضعف ما كتبه أوسبورن . وهى تدور حول حفلة زفاف فى أسرة مالكة تجلس فيها العروس الملكية فى انتظار عريسها الملكى الذى يقتل

فى آخر لحظة فى حادث فى الطريق ، فتضطر الأسرة انقاذا للموقف لأن تحل محله مصورا صحفيا استراليا تصادف أنه يشبه الأمير المتوفى شبها غريبا حتى لكأنهما توأمان . ومع ما يبدو لأول وهلة من الجرأة فى المسرحية ، باعتبارها تهكما على زفاف ملكى ، فان أسبورن ينتهى بها الى اكتشاف أن المصور الصحفى يجرى فى عروقه دم ملكى يؤهله للزيجة التى أقحم فيها !!

وأما المسرحية الثانية فهى تمثل زوجين — تيم وجينى — يعيشان عيشة عادية من جميع الوجوه فيما عدا هواية غريبة يمارسانها ، هى تمثيل مواقف خيالية يلبسان لكل منها مايناسبه من الثياب ، تكون السيطرة فيها لأحدهما مرة وللثانى مره أخرى . فتكون هى ممرضة شديدة جادة ويكون هو المريض المتألم . أو يكون مخدوما قاسيا غليظا وتكون هى خادمة مضطهدة وهكذا ، غير مدخرين شيئا من الحماس والخيال فى أداء تلك الأدوار . وتكون النتيجة أن يظل هذان الزوجان سعيدين فى بيتهما وبين أبنائهما لأنهما يصطنعان نوعا من توازن القوة والضعف ينفسان به عما يفسد حياة غيرهما من الأزواج .

غير أن أوسبورن لا يلبث أن يدخل عليهما ستانلى ، وهو صحفى فضولى حسود ، فيثبت لهما أنهما — دون أن يعلما — ليسا الا أخا وأخته ، ويفرق بينهما ، ويزوج جينى من شخص آخر ، بل ويجعل تيم يحضر حفل زفافها بوصف كونه شقيقها .

ولكن هـذا الزواج لا يدوم ، اذ نرى بعد قليل تيم وجينى قد اجتمعا ، ونرى ستانلى يطرق بابهما ليحدثهمـا ولكنه لا يحظى بجواب .

وتعرض هذه المسرحية فى نصفها الأول موضـوعا جديدا ، أو هى على الأقل تعرض موضوعا مطروقا ـ العلاقة الزوجية ـ من زاوية جديدة . وهى الى هنا تعتبر من خير ما كتبه أوسبورن بعد مسرحية « المسامر » ، غير أنها فى جملتها تنبو عن المعقول والمقبول ، اذ يهدم فى نصفها الثانى معظم البناء الدرامى الذى أقامه فى النصف الأول .



نصل الآن الى مسرحية « المسـامر » ، وهى ثانى مسرحيـة لأوسبورن عرضتها فرقة المسرح الانجليزى على مسرح الرويال كورت بلندن ، بعد مسرحية « أنظر الى الوراء غاضبا » .

وهى من حيث القالب مسرحية نصف شعرية نصف موسيقية ـ ان صح هذا التعبير ـ حيث تتخللها عشر أغنيات (منهـا اثنتان معادتان) يؤدى آرشى بطل المسرحية ثمانيا منهـا على المسرح الذى يحترف العمل عليه ، وهو المسرح الذى ينقلنا اليه أوسبورن من موطن أحداث القصة الأصلية للمسرحية (وهو بيت أسرة رايس) كل فترة ، نقلا لا يخلو من الافتعال . وقد قصد أوسبورن بهذا أن يخرج لجمهوره بمسرحيـة موسيقيـة فى المقام الأول ، فهو يقول فى ملاحظة له فى صدر المسرحية :

« ان صـــالة الموسيقى تحتضر فيحتضر معهـــا جزء هام من انجلترا . لقد ضاع جزء من قلب انجلترا ، هو ذلك الشيء الذى كان كل انســـان يعتبره ملكا خالصا له ، لأنه كان فنا شعبيا حقـــا » .

غير أن هذه المحاولة تمت فى الواقع لحساب خلخلة البنـــاء الدرامى للمسرحيـــة ، حيث تبدو الأغانى على الصـــورة التى وضعت بها حشوا شاذا فى ثنايا هيكلها العـــام ، وان خفف من شذوذها ان محمولها يتمشى مع المضمون العام للمسرحية ، من اظهار السخط والاشمئزاز على ما طرأ فى دنيـــا الناس ودنيـــا المسرح على السواء من مساوىء .

ويقوم بناء المسرحية على سلسلة من المشاهد الواقعية التى تروى قصة آرشى رايس ، وهو ممثل هزلى يدير فرقة استعراضية تعمل فى احدى المدن الساحليـــة ، وتعتمد على عرض النســـاء العاريات خلف الســـتائر الرقيقة ، ولذا فهى تسمى « الوضـــع العـــارى ـــ أو الوضع المجـــدد ـــ لرقصة الروك آند رول » (أنظر النص) .

وتدل شخصيـــة آرشى وتصرفاته على أنه جلف منحل فارغ كالطبل الأجوف ، لايستطيع ـــ ولا يريد ـــ أن يصل حبله بأى علاقة انسانية نقية سواء مع أفراد أسرته أو سائر الناس .

ففى محيط أسرته نراه يحب أباه « بيلى » ، وهو ممثل متقاعد

من بقايا عصر المسرح الوقور المزدهر ، ولكنه يثير حنقه وسخطه علـى الدوام بمـا ينزلق اليه فى عمله من التهريج الرخيص فى « سوق اللحم العـارى » ، وما يتورط فيـه من مشروعـات مسرحية خاسرة تسوقه الى الافلاس وتهدده بالسجن مرة بعد أخرى .

أما بالنسبة لزوجته « فوبيا » فهو مشفق يرثى لحالها ــ وهى الجاهلة الساذجة ــ ولكن هذا لا يمنعه من أن يكون زير نساء تبلغ به الجرأة أن يجلب الفتيات الىالبيت ودون حياءأومداراة، وأن يكاشف أبناءه بوقائع تبذله ودنسـه . بل انه يريد آخر الأمر أن يطلق زوجته ليتزوج من فتاة فى عمر ابنته ، ليستطيع أن يحصل من والديها على مال ينقذ به نفسه من الافلاس ، لولا أن أباه « بيلى » يسارع الى ابلاغ أسرة الفتاة أنه رجل متزوج له ثلاثة أولاد ، وهو العدد المعترف به شرعا على الأقل .

وابنته الكبرى « جين » فتاة مثقفة ــ على خلاف أخويها ــ ذات ميول يسارية غامضة ، فى خلقها بعض التعالى ، ولذا فان أباها آرشى يعاملها بحذر ومداورة ، ولكنها تحاصره فى النهاية وتسطره وابلا من السخط والتجريح .

أما « فرانك » ولده الكبير فهـو شخصية معتلة ، عاطفى خجول ، امتنع من تقديم نفسه للجندية فحوكم وحكم عليـه بالسجن ستة شهور قضاها يعمـل وقادا فى أحد المستشفيات ، ثم خرج منها محطما بلا عمل ولا أمل .

ويبقى ولده الأصغر « ميــك » الذى نسمع عنه ولا نراه ، وهو الذى يحمل الطرف الآخر من مأساة أسرة « رايس » . ذلك أنه يتقدم للجنــدية بمجرد اســتدعائه ، ولكنهم لا يلبثون أن يرسلوه للقتال فى معركة غير مفهومة الدوافع فى أرض نائية عن الوطن ، ألا وهى معركة السويس ، وفيما تنتظر الأسرة كلهـا عودته خلال أيام تفــاجأ به يعود مسجى فى أكفــانه ، لقد قتله « الأعداء » .

وحتى هذه المحنة لا تمس آرشى الا لحظــات قلائل يعــود بعدها الى حاله انسانا ميتا لا أمل فى قيامه .

والواقع أن أوسبورن قد اتخذ من أسرة رايس مطية رمزية حملها كافة وجوه اليأس والخذلان التى أصــابت الامبراطورية والشعب الانجليزى بعد سنوات طوال من النصر الظاهرى الذى أصابته انجلترا فى الحرب العالميــة الأخيرة ،سنوات طوالا من الترقب والانتظار لم يجن من ورائها جيل أوسبورن الا الخيبة والمرارة .

وعلى ألسنة أفراد هــذه الأسرة ألقى أوسبورن بكل سخطه وهزئه فى جرأة مذهلة .

***

فهو يعرض للناظر « بريتانيــا » ــ وهى الصــورة الرمزية التقليدية للامبراطورية ــ فى شكل فتاة ما تزال تحمل الخوذة

على رأسها والحربة فى يدها ولكنهــا عارية جردت من ثيابهــا ووقفت هناك نهبا للانظار .

وفى احدى أناشيده يقول ــ على لسان آرشى :

« نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحد ... يا انجلترا العجوز الطيبة أنت لى كقدح الشاى ... لا تدعوا مشــاعركم تتوزع ... لأن البريطانيين سيــكونون أحــرارا ... والجيش والبحرية والطيران هى كل مانحتاجه لحمل الهدامين على أن يروا أنه مازال ملكا لــكم ذلك الأحمــر والأبيض والأزرق (العلم البريطانى) وهذه القطع الحمراء التى مازالت على الخريطة لن تتخلى عنها دون قصاصة من الورق . فما لدينا مما بقى سنحافظ عليه ونرفعك أيها العلم » .

وفى نشيد آخر يقول آرشى :

« عند ما يهدد تراثنا فى الوطن أو عبر البحار ، فان الشباب من أمثالنا ، نعم أنتم وأنا ، هم الذين سيسيرون مرة أخرى الى النصر . يقول بعض الناس أننا انتهينا ... أصبحنا فى خبر كان ، ولكننا لو وقفنا جميعا الى جانب هذه الأرض العزيزة العريقة ، فان المعركة ستكسب » .

وفى معرض التنــدر بما وصلت اليه بريطانيــا من العــوز واستنزاف الموارد يغنى فرانك أغنية يصفها بأنها « بريطانية جدا ودينية جدا » فيقول :

« بعد ما هتفتم احكمى يا بريطانيا ، وبعد ما غنيتم « حفظ الله الملكة » ، وبعد ما انتهيتم من قتل كروجر (اشارة الى الألمان » بأفواهكم ، ألا تتعطفون فتسقطون شلنا فى رقى الصغير ، لسيد يلبس الكاكى تلقى الأمر بالسفر الى الجنوب ؟

« انه شحاذ شارد اللب كثير مواطن الضعف ... ذاهب الى الخدمة العاملة وقد خلف وراءه كثيرا من الأشياء الصغيرة .

« خمسة آلاف حصان ورجل تلقت الأمر بالسفر الى خليج تيبل ، كل منهم يؤدى عمل بلاده ، ومن الذى سيرعى الفتاة ؟ »

وأخيرا يعرض أوسبورن وجهة نظر المواطن البريطانى فى تلك السياسة الامبريالية التى ما تزال حكومة بلاده متعلقة بها ، والتى بدأ خرقها أوضح ما يكون فى حرب السويس ، فيقول على لسان جين بعد أن تلقت خبر مقتل أخيها ميك :

« لماذا يموت الأولاد أو يوقدون الغلايات ؟ لماذا تقع بنا هذه الأشياء ؟

وما الذى نأمل أن نحصل عليه منها ؟ وفى مساندة ماذا هى كلها ؟ أهى كلها حقا من أجل يد تلبس القفاز وتلوح لك من عربة ذهبية ؟ »

وتقول فوبيا الأم :

« لست أدرى لمـــاذا يرسلون هؤلاء الصبيـــة الى الخـــارج ليحملوا عبء القتال . انهم ليسو الا صبية صغارا » .

ويروى آرشى واقعة شهدها بنفسه عن جماعة من الملونين رآهم فى (الأوتوبيس) فى طريق عودته الى المنزل فيقول :

« كانوا يتحادثون معـــا طول الوقت والكل يصغى اليهـــم . وبمجرد أن قمت لأضغط على الجرس صاحت امرأة : « لقـــد فقدت ولدين فى الحرب من أجل أمثالكم » ، فظننت لحظة أنها تقصدنى ، ولهذا استدرت ، ولكنى وجدتهـــا تضربهم بمظلتها وكأنما جن جنونها » .

وتعكس جمل الحوار التالية تقدير المواطن الانجليزى لساسة بلاده على اختـــلاف مشاربهم ، وهى تجرى بين « بيلى » أكثر شخصيات المسرحية وقارا واتزانا وبين حفيدته چين وهو يحدثها عن سيدات زمانه مقارنا اياهن بنساء العصر :

« بيلى ــ أما الآن فمن المتعـــذر فى أغلب الأوقات تميـــيز النساء من الرجال ، خصوصا من الظهر ، بل انه حتى من الأمام يجب أن تتفرسى جيدا فى بعض الأحيان .

چين ــ مثل الحكومة والمعارضة .

بيلى ــ ما هذا ؟ مثل الحكومة والمعارضة ؟ لا تكلمينى عن الحكومة ، ولا عن تلك الطغمة الأخـــرى . مجموعة دنســـة من الأوغاد ، يستحقون السجن » .

ويصدر أوسبورن حكمه على حزب المحافظين (التورى) الذى كان يضطلع بالحكم فى حرب السويس ، وقت أن كتبت المسرحية، فيقول على لسان آرشى الذى كان يقص على الأسرة شيئا عن زميل قديم له فى العمل يدعى « روزى » :

« كان روزى يعرف من الألفاظ القذرة أكثر مما قد تسمعه فى أى مكان فى أى ليلة سبت ... غير أن أقبح كلمة من أربعة حروف فى الانجليزية أو أى لغة أخرى عند روزى كانت كلمة « تورى » (محافظ) وكان يطلقها على أى شىء بشرط أن يعتقد أنه على درجة كافية من السوء » .

أما موظفو الدولة فيصفهم بيلى ــ الشيخ المحنك ــ بقوله مخاطبا چين :

« لا فائدة من أن تتركى هذا الأمر للحكومة فتكله الى فئة من مصاصى الدماء الذين ليس لديهم المقدرة على فعل شىء لأنفسهم » .

وفى أكثر من موضع يندد أسبورن بفداحة الضرائب التى تجبى من المواطن الانجليزى حتى ليتردد ذكر « محصل ضريبة الدخل » كما تتردد أسماء المردة والشياطين . وها هو آرشى يفاجىء أسرته ذات ليلة بأنه يقيم احتفالا « بمناسبة الذكرى العشرين » . فاذا سألوه أى ذكرى هذه قال : « الذكرى العشرين

لعدم دفعى ضريبة الدخل ... انى لأظن هذا انتصارا بالغ الدلالة ، وانى لأستحق نوعا من الجائزة عليه » .

ويكشف أوسبورن عما أصبح يعانيه سواد الشعب من الضيق واليأس حين يقول على لسان فويبا : « ... ان حالة العمل سيئة ، هذا هو الواقع . ان الناس ليس معهم نقود ... » ثم يقول على لسان فرانك وهو يخاطب أخته :

« تلفتى حولك . هل تستطيعين أن تجدى سببا واحدا قويا للبقاء فى هذا الركن المريح الصغير من أوروبا ؟ لا تخدعى نفسك فتظنى أن أحدا سيتركك تفعلين شيئا أو تحاولين شيئا هنا ياچين . لأنهم لا يسمحون . ما من فرصة أمامك . من أنت ؟ أنت لاشىء ، فليس عندك مال ومازلت صغيرة . وعندما تبلغين آخر الشوط من المؤكد جدا أنك ستظلين لا شىء ، وستظلين بلا مال . والفارق الوحيد أنك ستكونين قد بلغت الشيخوخة . من الخير لك أن تبدئى فى التفكير فى نفسك ياچين لأنه ليس هناك من سيقوم عنك بهذه المهمة ... لأنه لم يبق من يؤمن بهذه الأمور الآن ... قد يقولون انهم يفعلون ، وقد يقتطعون بضع دراهم من أجرك كل أسبوع ويلصقون بعض الطوابع على بطاقتك ليقنعوك ، ولكن لا تصدقى فلن تجدى انسانا يعيد النظر الى وجهك ، انهم جميعا مشغولون جدا ، يرمحون معا فى وسط الطريق غير آبهين الى أن يذهبوا طالما أنهم فى الوسط الملعون ... أولاد الحرام المتهرئون ... »

ولعل أبلغ عبارات أوسبورن دلالة فى هذا الصدد ما يقوله آرشى :

« ... نحن موتى مكدودون مضيعون . نحن سكيرون مجانين . نحن حمقى ، نحن تافهون ... نعم فان لنا مشاكل لم يسمع بها أحد . نحن شخصيات فى مسرحية لا يصدقها أحد . نحن شىء يتندر به الناس لأننا أبعد ما نكون عن الحياة العادية للبشر .... لسبب بسيط هو أننا لسنا مثل أى آدمى عاش على وجه الأرض ... نحن عوامل ضيق لا نفعل شيئا مما يثير اهتمام الخالق القدير . نحاول طول الوقت أن نسترعى انتباه انسان ما لمشاكلنا القذرة الحقيرة غير المعقولة التافهة ... »



هذه بضعة من نظرات أوسبورن فى الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى سادت انجلترا وقت أن كتب مسرحيتيه « انظر الى الوراء غاضبا » و « المسامر » . وهى تصور لنا عالمه الذى يعيش فيه عالما فاسدا منحلا يغشيه البغض واليأس . واذا كان المسرح هو الرمز الحى المتحرك لأى شعب من الشعوب فها هو أوسبورن يقدم لنا صورة هذا الرمز مجسدة فى شخصية آرشى كممثل وفى وصف آرشى لجمهور الناس كمشاهدين :

« ... انظرى الى هذا الوجه . أنظرى اليه . هـذا الوجـه يستطيع أن يتفجر حـرارة وانسانيـة ، يستطيع أن يغنى وأن يحـكى أردأ الحـكايات فى العـالم وأبعدهـا عن الاضحاك لمجموعة كبيرة من الجذوع الميتة الخاوية ، دون أى اهتمام ... انظرى الى عينى . اننى ميت وراء هاتين العينين . اننى ميت ، تماما مثل تلك الجموع الجامدة الزائفة التى هناك . لا اهتمـام لأنى لا أشعر بشىء ولا هم يشعرون . كلانا ميت كصاحبه .... »

* * *

وبعد فقد رأينا أوسبورن يحمل علم الجديد فى مسرحيتيـه « انظر الى الوراء غاضبا » و « المسامر » حتى بلغ به حد الثورة فى عالم المسرح المعاصر ، ثم رأينا موهبته تتأرجح بين المد والجزر فى مسرحياته الأخرى . غير أنه مايزال حيا يرزق ويكتب ، ولذا فان الوقت لم يحن بعد لاصدار الحكم الأخير عليه ؟

محمد توفيق مصطفى

الشخصيـــات

بيلى رايس	Billy Rice
جين رايس	Jean Rice
آرشى رايس	Archie Rice
فوبيـــا رايس	Phoebe Rice
فرانك رايس	Frank Rice
وليم رايس (الأخ بيل)	William Rice (brother Bill)
جراهـــام دود	Graham Dod

الفصل الأول

المكان : تقع الحوادث فى موقع ساحلى فسيح . والبيت الذى تقيم فيه أسرة رايس هوواحد من تلك المبانى العالية الكئيبة التى كان يشيدها ثراة رجال الأعمال فى مطلع القرن ، خمس وعشرون دقيقة فقط بعربة الخيل المفردة حتى مدخله . فى الوقت الحاضر تعج عربات الترولى باس مارة بالطريق الأمامى غاصة بعمال المصانع الصغيرة التى تكاثرت فى أرجاء المكان . هذا جزء من المدينة لا يراه طلاب النزهة أبدا ، أو أنهم اذا رأوه يقررون الرجوع الى حدائق النزهة . انهم يركبون القطار ساعتين أو ثلاثا ليتجنبوه . بل انه ليس من المتعين عليهم أن يمروا به فى طريقهم من المحطة المركزية لأنه مدينة قائمة بنفسها لها محطة خاصة فسيحة جداً ألحقت بها مساحات كبيرة من حظائر البضائع وأحواش التحويل . وقطارات الخطوط الرئيسية لا تقف هناك على أى حال . فهو ليس منطقة سكنية ، ويصعب اعتباره منطقة صناعية . تكثر فيه الأماكن الفضاء القذرة ، والجدران المرتفعة السوداء ، وبه مخزن للغاز ومدخنة طويلة ، وطريق رئيسى يعج بالتراب وسيارات النقل . والحوانيت متناثرة على زوايا الأزقة الضيقة ، محل لبيع الصحف ، وبقالة عمومية ودكان للسمك وشرائح البطاطس .

الافتتــاح

فى خلال فترة الاستراحة تدلى لافتة اعلان

(١)

فى الخلف ستار خفيف (من الشاش) يبدو وراءه جزء من المدينة . وأمامه منصة مرتفعة تؤدى اليها بضع درجات . طوابق بارتفاع الركبة بوهيكل باب تقوم مقام جدار . يستعان على عرض المناظر بالستائر المدلاة . حيث تدلى ستائر مختلفة للمناظر المختلفة لتحـديد مساحات الأداء ، وكذلك ســتائر مرخاة من القماش الأسود أو النسيج السميك . هناك بابان عن يمين ويسار الستار الخلفى . الاضـــاءة من النـــوع الذى تتــوقع رؤيتـــه محليــا . كل شىء يسلط عليـه الضــوء يبـدو واضـــحا محددا ، أو مجرد مساحة ضــوئية متحركة . على أنه يجب أن تضاء المناظر أو الفواصـــل التى بينهــا كمجرد نقلات بسيطة . الأثاث والركائز بسيطة كما لو كانت معدة لفاصل قصير . على كل من جانبى المسرح مربع تظهــر فيــه أرقام تتــابع المناظر . المشكلات الموجودة هى أساسا نفس المشـكلات التى تواجه أى مدير مسرح مقيم عقب الحفلتين الليليتين صباح كل يوم من أيام الاثنين طوال حياته الفنية .

موسيقى : الأحدث ، الأكثر صــخبا ، الأردأ . ســتار أمامى من (الشاش) مرسوم عليه صور كبيرة لفتيات عاريات بأيديهن

مراوح زاهيــة الألوان وهن يتراقصن فى مرح ، ومكتوب عليه بحروف كبيرة كلمات «الوضع العارى لرقصة الروك آند رول». ومعناها حرفيا رقصة الروك آند رول المجددة . ولكن الكاتب يقصد استغلال كلمة Nude (مجدد) لأنها تلفظ ككلمة New'd (عارى) ...

وراء ستار الشاش الخلفى يكشف الضوء عن رجل كهل يمشى عبر المسرح من اليسار الى اليمين . وعندما يصــل الى منتصفه يقف وينظر الى أعلى . تسمع صيحات وصراخ . ضــجة امرأة تحاول الحيلولة بين رجلين ــ لعلهما ابنها وعشيقها . صــيحات « أوه ، اتركه وشأنه ! لا تفعل هذا ، أرجوك لا تفعل هــذا ، اتركه وشأنه » . يمشى الى اليمين خارجا من المسرح ثم يعــود للظهــور بجانب الستار المتدلى متجهــا نحو الوســط . تسمع أصوات ســقوط وضربات . يقف ثانية ثم يسير . تصرخ المرأة بصوت عال هذه المرة . يقف ثانية ويستدير ثم يصيح مطلا من (الدرابزين) « هــل يضيركم أن تلتزموا الهــدوء تحتنا من فضلكم » . ينصت دون استجابة . « هلاّ تفضلتم بالكف عن كل هذا الضجيج ! ! » .

يحاول أن يجعل صــوته يبدو مترفعا ، ولكن صــوته قوى فتسكت الضجة لحظة فيومىء برأسه ويبدأ فى التحرك . يصيح

Rock'n Roll New'd Look

صوت « لمـاذا لا تقفـل فمك الواسـع الكريه أيهـا الأحمق المـأفون » . صـوت بكاء امرأة يقطـع آخر الجملة فيتردد الرجل الكهل ثم يستدير وينادى من أعلى الدرج : « هل أنت بخير يا سـيدة ... ؟ » . يسمع صوت رجل متعجلا متحمسا . باب يصفق ، وتكتم الضجة ، ويظل البكاء مسموعا ولكن يبدو أن السيطرة على الموقف قد ازدادت . يعود الكهل الى الوسط ويدخل من هيكل الباب .

بيلى رايس رجـل أنيق فى السبعينات ، شـديد الاعجاب بجسده نتيجة الاعجاب الذى لقيه طول عمره باعتباره « رجـلا مليح القوام » . فهو رشـيق مستقيم العـود ، رياضى . يلتمع بمظاهر العيش الرخى . شعره ، وقد وخطه الشيب ، كثيف ناعم بسبب ترجيله الشديد يوميا ، ولعل ملابسه عمرها ربع قرن ـ بما فيهـا الحذاء الرسـمى المدبب ـ ولكنها أنيقة مكوية بعناية . سلسلة ساعته تلمع . ياقته مثبتة بدبوس تحت الرباط الأسـود المحكم العقد . وقبعته السمراء مثبتة على زاوية طفيفة جـدا . يتكلم بلهجة مترفعة « ادواردية » ـ خليط من لهجة اكسفورد والعامية ينطق فيها حرف السين بقوة ولكنها مع هذا بعيدة عن أن تبدو تماما كلهجة الطبقة العليـا أو كاللهجات القديمة . فهى فى الواقع ليست لهجـة طبقة بل لهجـة عصر ، مما لا يسمعه الانسان كثيرا فى هذه الأيام .

يرفع الستار الخفيف الأمامى .

يسير الى الوسط فيضع جريدة مطبقة وزجاجتى بيرة وبرقية يلقى عليها نظرة عاجلة . يسير الى الباب الأيمن فى مقدمة المسرح ويدخل منه وهو يغنى بصوت أجش ولكنه مر ح :

« أينها الصخرة التى نحتت لى منذ القدم
دعينى أخبىء نفسى فيك »

يعود للظهور بقميصه وهو آخذ فى ارتداء ازار من الصوف فوق صدريته . يجلس وهو ما يزال يغنى ويصب لنفسه قدحا من البيرة ويبدأ بفك رباط حذائه ثم يضعه فى صندوق محشـــو بالورق فى مؤخرة المسرح فى الوسط . تسمع الضجة مرة أخرى م أسفل الدرج . يشرب من قـــدح البيرة ثم يتنـــاول مبرد أظافر ويقف منظفا أظافره بخبرة ، كما لو كان ينفض ذرة موهومة من التراب . صرخة من أسفل الدرج . يتكلم بيلى باهتمام وتدبر .

بيــلى : بولنديون وايرلنديون مجرمون !!
يجلس ويلبس (شبشبه) ــ (دق على الباب الأمامى ، يتناول نظارته من علبته ويلبسها) .

انى أكرههم أولاد الحرام .

(يفتح جريدته . جرس الباب ما زال يدق . تبدو عليه المضايقة ولكنه قد رفع

قدميــــه مؤثرا الراحـــة على الحركة .
يغنى بمرح وكأنمـــا يريد أن يغطى على
رنين جرس الباب) .

بيـــلى : أنا قريب منك يا الهى
قريب منك
(يصغى ثم يتابع الغنـــاء) .

حتى لو كان صليبا
ذلك الذى يرفعنى

(يتناول الصحيفة وينظر فيها باهتمام) .

فان كل ترانيمى ستكون
أنا قريب منك يا الهى
قريب منك .

(يضع الصحيفة) .

ـ (واقفا) لمـــاذا لا يفتحون الباب اللعين .

(يعتمد بذراعيـــه على الكرسى مفكرا
فيما اذا كان عليه أن يذهب آخر الأمر) .

ـ يجب أن يسجن بعض هؤلاء الناس .

(يبدو أن ليس عليه أن يذهب آخر الامر
فيعود للجلوس فى مرح) .

(يتناول الصحيفة ، ثم يلقيها فجأة) .

ـ مخلوقات قذرة متعفنة .

ــ يا الهى ، أشعر بتيار هواء .

(يقوم فيذهب الى الباب وينظر للخارج).

ــ أراهن أنهم تركوا الباب الخارجى مفتوحا .
فلاحون .. هكذا هم .

(يتناول « بطانيـــة » ويسويها أسفل البـــاب) .

ــ يظهر أنهم ولدوا فى الغيطان ... حيوانات
(يعود الى الكرسى ويجلس) .
كالحيوانات ... كالحيوانات المتوحشة .

(يستقر فى جلسته . تدخل من البـــاب الخلفى الأيسر فتـــاة شابة . بيلى يصب لنفسه بعض البيرة . الفتاة تقرع الباب . فيصغى) .

ــ من هـــذا ؟

(تقرع الفتاة البـــاب ثانية) .

ــ من هذا ؟ أنا لاأستطيع أن أجد أى هدوء فى هذا البيت اللعين .

الفتـــاة : أهذا أنت ياجدى ؟

بيـــلى : ماذا ؟

الفتـــاة : أنا چـــين .

بيــلى : (وهو ينهض) من هذا ؟

جــين : أنا ... چين .

بيــلى : (يذهب الى البــاب ويقف خلفه) لا أستطيع حتى قراءة الصحيفة فى هدوء . من ؟

جــين : أنا حفيدتك .

(تحاول جين دفع الباب ولكن البطانية تمنع فتحه) .

بيــلى : دقيقة واحدة !! دقيقة واحدة !! شدى عنــان جوادك .. (ينحنى) .

جــين : متأســفة .

بيــلى : شدى عنانه

(يرفع البطانية ويفتح الباب فينفرج عن جين رابس وهى فىحوالى الثانية والعشرين سمراء ذات اسنان بارزة قليلا ، ضعيفة النظر من النوع الذى يسميه معظم الناس عاديا ولكن روح الفكاهة والرقة قــد بدأت تثبت طابعها حول أنفها وعينيها . أما فمها فواسع ملىء) .

جــين : هالو جدى .

بيــلى : لقد عجبت من يكون الطارق بحق الجحيم .

جــين : أنا آســفة .

بيــلى : ظننت أنه واحد من هؤلاء النــاس المجانين . لا بأس ، ادخلى ان كنت داخلة ، ان الوقوف تجاه الباب يعرضنا للتيار ، لم أجلس الا منذ لحظة .

جــين : (داخلة) هل أزعجتك ؟ أنا آســفة .

بيــلى : لم أجلس الا منذ لحظة لاقرأ صحيفة المساء . ان هذا المكان زريبة قذرة .

جــين : حبسنا . كيف حالك ؟

بيــلى : زريبة قذرة . انهم يستحقون السجن . وأنت تعرفين الحال الآن ، الا تعرفين ؟ ألا تعرفين من عندها فوق فى حجرة ميك القديمة ، ألاتعرفين؟ شخص أسود . هذا حق . أقول لك لقد أتيت الى مستشفى مجانين هذه المرة .

جــين : انك تبدو على أحسن حال . كيف صحتك ؟

بيــلى : اننى على ما يرام . لابد أن تتوقعى قليــلا من الأوجاع والآلام عند ما تصلين الى سنى . لقد ذهبت فوبيا الى السينما على ما أظن ، لم تقل لى انك قادمة .

جـين : انى لم أخبرها .

بيـلى : نعم ، انها لم تقل أى شىء . ولذا لم أكن أتوقع طرق الباب .

جـين : لم أقرر الحضور الا هذا الصباح فقط .

بيـلى : منذ لحظة فقط جلست لأقرأ صحيفة المساء ..

جـين : أنا آسـفة ... لقد أزعجتك .

(وقـد أحسنت فهم الموقف ، فقـد وضح أن أمسيته قد أزعجت . يزول عنه مظهر المضايقة فيتبسم قليلا . وهو مسرور لرؤيتها على أى حال) .

بيـلى : لا بأس . أعطى جدك قبلة ، هيا .

(تفعل ذلك) .

جـين : انه لحسن أن أراك .

بيـلى : انه لجميل ان أراك يا حبيبتى . انها لمفاجأة الى حد ما . هيا تخففى .

(جين تخلع معطفها وترمى علبـة من السجاير على المنضدة) .

جـين : أحضرت هذه لك .

بيـلى : لن تتأخر فوبيـا طويلا . ما الذى خرجت من أجله ، لا أدرى .

جين : ذهبت الى السينما ، أليس كذلك ؟

بيلى : انها مجنونة . أوه ، هذا لطيف جدا منك . لطيف جدا . أشكرك . نعم لقد قالت انها ستبكر فى الذهاب . لست أدرى لماذا لا تستطيع البقاء فى البيت .

جين : أوه انك تعلم ... لقد كانت هكذا على الدوام . ان هذا يسرها .

بيلى : أوه ، سيكون عليها أن تتعلم . انها لم تعد صغيرة بعد . عندما تصل الى سنى لن تفعل هذا .

(يفتح علبة السجاير ويخرج مبسما من العاج من صدريته) .

أوه ، هذا جميل منك . أشكرك . ومع هذا فلو بقيت فى البيت فانها لا تكون الا عنصر مضايقة ، وأنا لا أطيق المشاجرات . لم أعد أطيقها .

(يحدق أمامه) لا فائدة ترجى من مناقشة فوبيا على أى حال . أتأخذين شيئا من البيرة ؟

(تهز رأسها) .

انها لا تريد أن تصغى اليك وكفى . أواثقة من أنك لا تريدين . هناك سلة كبيرة فى المطبخ ، أحضرها فرانك هذا الصباح .

جـــين : لا ، شكرا يا جدى .

بيـــلى : لا ... عندما تعتريها هذه الحالة لا أفعل شيئا سوى أن أخرج .

جـــين : والى أين تذهب ؟

بيـــلى : أتمشى أو أذهب الى النادى . انك لم تذهبى الى النادى . أوه ، اذن فلابد من أن آخذك . انه فى منتهى الهدوء ، ليكن فى علمك ، فيما عدا أيام العطلة الأسبوعيـــة حيث تأتى بعض الزوجات ، ولكن أغلبهن من الزمن القديم مثلى .

جـــين : يبدو أنه شىء سار .

بيـــلى : نعم انه مكان ما يمكن الذهاب اليـــه عندما يضيق صدرك بالبيت . لا تظنى انه يتفق كثيرا مع ذوق الشـــباب من أمثالك . وأحسب أنك تفضلين الذهاب الى تلك المحلات التى تعزف فيها موسيقى الجاز .

جين : انى أحب أن أذهب الى النادى . لابد أن تأخذنى .

بيلى : أحقا تريدين ؟ تريدين ؟ وهو كذلك . ولكن أنبهك ، لن تجدى هناك شيئا من موسيقاكم الحمقاء . كم ستبقين هنا ؟

جين : عطلة آخر الأسبوع فقط .

بيلى : سنذهب مساء غد . انها ليلة طيبة ... يوم الأحد ... أغنى لهم بعض الأغنيات القديمة أحيانا عندما أحس بالميل الى ذلك . لم أفعل ذلك مؤخرا ، ومنذ فترة طويلة . يبدو اننى لا أحس ميلا الى ذلك .

جين : أين أبى ؟

بيلى : فى المسرح . انه يمثل هنا ... على مسرح الجراند . هذا الأسبوع كما تعلمين .

جين : أوه ، نعم ، طبعا .

بيلى : يبدو اننى لا أحس ميلا الى ذلك هذه الأيام . انك تحسين ببعض الضيق أحيانا من الجلوس هنا . واذ ذاك هناك محل كامبردج فى نهاية

الشارع ؛ أذهب اليه بالطبع ولكن الناس أصبحوا غير الناس ، كما تعلمين . ماذا عن الأخبار : — آه — ؟ انها تثير الضيق . ما رأيك فى كل هذه الضجة القائمة فى الشرق الأوسط ؟ يبدو أن الناس يستطيعون أن يفعلوا بنا ما يشاؤون . ما يشاؤون تماما . انى لا أفهم هذا . الحق انى لا أفهمه . ارشى يذهب الى هذا المحل اللعين بجوار ساعة البرج .

جين : الروكليف .

بيلى : نعم الروكليف . كل ولد مشاكس مغامر فى هذا الحى يذهب الى ذلك المحل فى عطلة آخر الأسبوع . حاول آرشى أن يأخذنى الى هناك ذات يوم . لا ، شكرا . انه ليس الا سوقا للّحم العارى .

جين : وكيف حال أبى ؟

بيلى : انه أحمق .

جين : أوه ؟

بيلى : يصرف المال على فرقة متجولة .

جين : لم أعلم بهذا .

بيـلى : أوه ، انها واحدة أخرى من أفكاره الحمقاء . لقد رفض أن يصغى الى . انه يضيع نصف وقته فى ذلك الروكليف .

جـين : نعم نعم . وأى نوع من البرامج هذه المرة ؟

بيـلى : أوه ، انى لا أتذكر اسمه .

جـين : هل رأيته ؟

بيـلى : لا ، لم أره . ولن أراه . هؤلاء العاريات . انهم يقتلون المهنـة . على أى حال .. أنا أقول له دائما ... انها ماتت بالفعل . ماتت منذ سنين . لقد كانت منتهية ميتة عند ما تركتها لقد تنبأت بذلك ، فهجرتها . انهم لم يعودوا يريدون أناسا جادين .

جـين : لا ، انهم لا يريدون على ما أظن .

بيـلى : انهم لا يريدون بشرا . لم يعودوا يريدون ، كنت أتمنى ألا ينغرز فى هذا الروكليف . انه يحصل على نصف فتياته العاريات من هناك . (متحمسا) انى لأعجب لمـاذا يأخذ رب أسرة زوجتـه وأولاده ليروا بضبحة من بغايا الدرجة الثالثـة

وهن واقفات عرايا ؟ لقـــد عدمن حتى القوام هذه الأيام . كلهن جلد على عظم .

جـــين : (تبتسم) مثلى .

بيـــلى : كلا . انك لا تقفين وسط الناس وأنت متجردة من كل شيء ليحملق فيك كل انسان ويباركك الله من أجل ذلك . بل انك لا ترين أبدا امرأة ذات قوام جميل حقا هذه الأيام . لا ، أستطيع أن أذكر لك الآن شيئا عن النساء الجميلات ، نعم أستطيع . ولم يكن جمالهن كله مصطنعـــا بمساحيق الزينـــة . لقد كن سيدات . سيدات تخلعين قبعتك احتراما قبـــل أن تجرئى عـــلى مخاطبتهن . أماالآن فمن المتعذر فى أغلبالأوقات تمييز النساء من الرجال . خصوصا من الظهر . بل انه حتى من الأمام يجب أن تتفرسى جيـــدا فى بعض الأحيان .

جـــين : مثل الحكومة والمعارضة .

بيـــلى : ما هذا ؟ مثل الحكومة والمعارضة . لاتكلمينى عن الحكومة ، ولا عن تلك الطغمة . مجموعة دنسة من الأوغاد ، يستحقون السجن . لا ،

ان آرشى لأحمق ، انك لا تظفرين منـه حتى بالاصغاء . ولهذا تماشيت مع فوبيا . لقد كان عليها أن تجارى الأمور ، بوسعى أن أقول لك هذا . ولكن ليس على أن أقوله لك . أخشى أنه سيسقط بل فى أقرب وقت . لقـد قضم أكثر مما يستطيع أن يمضغ .

جـين : تعنى فى هذه الفرقة الجديدة . هل صرف عليها بعض المـال حقا ؟

بيـلى : صرف عليهـا بعض المـال !! لا تثيرى فى الضـحك . انه مفلس . كله بالاسـتدانة . بالاسـتدانة من فضلك . انه ليدهشنى كيف يحصل على المـال بعد هذه العملية الأخيرة . ومع هذا فانه يستطيع أن يتكلم على الدوام ، أبوك هذا . وهذا كل ما فى الأمر . أتعلمين اننى أنفقت آلاف الجنيهات فى سبيل تعليمه . ألحقته بنفس المدرسة التى كنت فيها . وأخوه.

آلاف الجنيهـات لم يكن من أولئك الذين أحرزوا منحة دراسية مثلك . وأين أوصـلهم هذا ؟ (يتناول جرعة) هذا الروكليف . يجب أن يغلقوا هذا المحل . يجب أن يكتب أحدهم

الى مجلس المدينة عنه . يدهشنى أن أحدا لم يفعل هذا . يوجد هنا كثير من السادة كما تعلمين . بجانب الأوشاب الذين هنا . أناس من المتقاعدين . انهم لا يريدون استمرار مثل هذا الشيء . هل أنت بخير ؟ ان منظرك يوحى بأنك سهرت ليالى طوالا أو شيئا كهذا . ماذا كنت تفعلين بنفسك ؟ كثير من تلك الحفلات ، آه ؟

جين : لا ، ليس كذلك فى الواقع .

بيلى : على أى حال يجب أن تستمتعى بوقت طيب فترة شبابك . فأنت لا تستطيعين ذلك فيما بعد . أراهن أنه لن يعود حتى آخر هذا الليل .

جين : أبى ؟

بيلى : انى مسرور جدا برؤيتك ياجين . هل أنت بخير؟ هل تلقين منهم معاملة طيبة ؟

جين : أوه ، نعم .

بيلى : أرجو أن يكونوا راضين عنك . ليست لديك أية متاعب

جين : لا يا جدى ، ليست لدى أى متاعب .

بيلى : كل ما فى الأمر أننى مستغرب مجيئك لرؤيتنا فجأة هكذا .

جين : أوه ، انه مجرد ...

بيلى : أنا لا أطلب منك أن تخبرينى . لك أن تفعلى ما تشائين يا حبيبتى . أشك فى أنك جائعة ، أليس كذلك ؟

جين : لقد أكلت فى القطار .

بيلى : ما كان ينبغى لك أن تفعلى هذا . انه اسراف ، وكل ما يقدمونه لك شىء من النفايات . انك لست مسرفة ، أليس كذلك ؟

جين : لا أظن هذا .

بيلى : لا ، لم أظن هذا . انك فتاة طيبة ياجين . انك ستشقين طريقك . أنا أعرف أنك ستشقين طريقك . انك لست كهذه المجموعة التى فى هذا البيت . ستفعلين شيئا ما لنفسك . انك تقتدين بجدك العجوز .

(تبتسم له باعزاز) .

أليس كذلك ؟ جين ، اذا صادفك أى نوع من

المتاعب فانك ستجيئين الى فى الحال ، أليس كذلك ؟

جين : سأفعل هذا .

بيلى : انى أعنى ما أقول . والآن انظرى ... لا يوجد هنا غيرنا نحن الاثنين . عدينى بأنك ستحضرين وتخبرينى .

جين : بالطبع سأفعل هذا . ولكن لاشىء هناك ...

بيلى : اننى لا أهذر ، بل أنا جاد . ستعود فوبيا فى أى لحظة ، وأنا لاأريدها أن تعرف . أريد أن تعدينى .

جين : أعدك . اذا طرأ أى شىء ....

بيلى : اذا كان الأمر أمر نقود ، فاعلمى ...

جين : أقول لك انى ...

بيلى : عندى بضعة جنيهات فى صندوق توفير البريد ، ليكن فى علمك أنها ليست كثيرة ، ولكن عندى بضعة جنيهات . ما من أحد يعرف هذا ، ولذا فلا كلمة ، احذرى .

جين : وهو كذلك .

بيــلى : حتى ولا سـكان البنسيون ، فأنا لا أطلعهم على أحوالى . ولكن كما قلت ...

جـين : جدى ، انى أعدك . اذا احتجت الى أى شىء ...

بيــلى : لعلهم لا يدفعون لك الكثير فى عملك ، أليس كذلك ؟ أخبريهم ماذا تستحقين ، انهم لصوص .

جـين : انهم يدفعون الكفاية .

بيــلى : كم كانت نفقات سفرك الى هنا ؟

(يبدو انه قد شطح قليلا) .

جـين : لا يا جدى أرجوك ... أنا لا أريدها .

بيــلى : كفى عن هذا الجدل اللعين . ما دمت أريد أن أعطيها لك فستأخذينها . انتظرى دقيقة واحدة ...

جـين : أرجوك ...

بيــلى : ما هى المسألة ؟ أهى دون الكفاية ؟

جـين : ليست هذه هى المسألة ...

بيــلى : ماذا اذن . افعلى ما يقال لك وخذيها . أنا ما كنت لأجرؤ على مجادلة جدى ، حتى وأنا فى

مثل سنك (يعد نقوده) أوه ... حسنا ، يبدو أنه ليس معى ما يكفى الآن . كم عددها ؟

جين : لا أذكر .

بيلى : بل تتذكرين بالطبع . انظرى ، هاك قليلا من النقود ، خذيه الآن خصما منها ، وفى يوم الاثنين سأذهب الى مكتب البريد وأسحبها لك.

جين : يا حبيبى ، انك ستحتاج هذا اليوم عطلة الأسبوع ، هناك السجاير والصحف ، فضلا عن أنك ستأخذنى الى النادى . ألا تذكر ؟

بيلى : أوه نعم ، لقد نسيت هذا . اذن فلنعتبره قرضا. هل توافقين ؟

جين : قرض ؟

بيلى : نعم قرض . أنت تعرفين ما هو القرض .

جين : أوه ، وهو كذلك .

بيلى : يجب ألا تشعرى بالاحتياج . كلنا محتاجون للرعاية ، وعليك أن ترعى أهلك الأقربين . فلا فائدة فى أن تتركى هذا الأمر للحكومة فتكله الى فئة من مصاصى الدماء الذين ليس

لديهم المقدرة على فعـل شيء لأنفسهم . أنا أريد أن أبسط رعايتى عليك ياچين . أريد ... أريد حقا . فأنت فتـاة طيبـة وأنا أعلم أنك ستصنعين شيئا من حياتك ، ستكونين انسانا مرموقا ، لن تضيعى حيـاتك عبثـا وتكونى حمقاء .

جـين : بارك الله فيك .

بيـلى : لا تضيعيها عبثا ، اصنعى منهـا شيـئا طيبا . لا تضيعيهـا . اجلسى بالله . ان منظرك يوحى بأنك موشكة على أن تأخذى قبعتك ومعطفك وتنصرفى . اجلسى وتحدثى الى جدك . قليلا ما أجد الفرصة للتحدث مع أحد . انهم يظنون بك بعض الخبـل لمجرد أنك تستطيعين تذكر الأشياء عندما كانت تختلف قليلا عما هى عليه . هيا ، خذى كأسا .

جـين : أشـكرك .

بيـلى : خذى مثلا فتاة البار التى فى الكامبردج . أنا لاأذهب الى هناك كثيرا . لقد رأيتها تضحك وتخفى ضحكها ، وهى تحسبنى لم أرها ، ولكنى لست مخبولا ، كما أنها قطعة من البضاعة العادية .

ثديان كبيران يبرزان من هنــا ، كما لو كان المقصود أن تريهما عند ما تميلين نحو كأسك ، الأمر الذى يكفى لأن يمحــو أثر البــيرة من رأسك . ثم انها تنتقص مقدار الكــأس . ان عليك أن تراقبيهم ، فهم يظنون أنهم يستطيعون اللعب عليك .

جــين : متى تنتهى الحفلة الثانية ؟

بيــلى : لا أعلم . حوالى الحادية عشرة على ما أظن . ستسهرين الليل بطوله اذا انتظرته . ما كانوا ليستخدموا واحدة من هــذا النوع فى الأيام المــاضية ، واحدة كالبغى الرخيصة .

جــين : لعل يجب أن أذهب لمقابلته .

بيــلى : افعلى ما شئت يا ابنتى . أما أنا فلا ، لقــد وضعوا جهاز تليفزيون فى ذلك البــار الآن . تليفزيون . من تظنه يريد جهــاز تليفزيون فى حانة ، لا يكاد صوته يدوى حتى تعجزى عن سماع أفكارك . هل تعلمين ؟ هل تعلمين انى طلبت منهم أن يقفلوه ذات ليلة . هذه البقرة ذات الثديين ، من المتوقع أن تكون وقحــة ، ولكننى وقتئذ طلبت من صاحب المحل ، تشارلى

روز . انه صديقى . أعرفه منذ سنوات . ومع هــذا أتعلمين انه رفض أن يستجيب لطلبى . لست أدرى ما الذى جرى لكل الناس . لست أدرى . هل تعلمين ؟

جـــين : (غير مصغية) لا ياجدى ، لست أعلم .

بيـــلى : ان هذا لمما يحزن ... أحيـــانا . تشارلى روز العجوز دون سائر الناس . منذ ذلك الحين لم أستطع دخول ذلك المكان . لقد أحضرت هذه البـــيرة فى غير فترة الترخيص وأنا فى طريقى (ينظر اليها بخبث) أظن أنه لا يحق لك أن تتوقعى من النـــاس أن يصغوا اليك ما دمت تتحدثين عن حياتك التى ولت وانقضت ، لقد انتهى الأمر بالنسبة اليك فلماذا يتعين على أى انسان أن يصغى اليك ؟ (سكتة) هل شربت شـــيئا ؟

جـــين : نعم .

بيـــلى : أعرف المرأة دائما عندما تكون شاربة .

جـــين : أنا آســـفة .

بيـــلى : لا بأس يابنيتى . انى لأظنك تعلمين ماتصنعين ،

يجب أن أرفع قدميك وأغمض عينيك ، وستشعرين بتحسن بعد دقيقة .

جين : لقد شربت أربع كاسات من الچن . أربع كاسات كبيرة من الچن . سأكون على ما يرام . ماحال العمل ؟

بيلى : فى المسرح ؟ لا علم عندى . ولا أسأل . ولكنى أراهن أن فى صالون بار كمبردج من الناس أكثر مما عنده هناك . أنا أعرف بماذا تحسين أيتها الفتاة . عليك أن تسترخى .

جين : أنا أحب الاستماع اليك . وهكذا كنت دائما .

بيلى : نعم ، لقد كنت تحبين دائما أن تأتى لرؤيتى ، أليس كذلك ؟ وكنت تستمتعين فى صحبتى عندما كنت صبية . كنت شيئا جميلا صغيرا ؛ بغدائرك السود وملابسك الصغيرة . (بسرعة) ليس معنى هذا أن المنظر هو كل شىء ، حتى بالنسبة للمرأة . لا تصدقى هذا ، انك لاتنظرين الى زينة رف المدفأة وأنت تقلبين النار .

(جين تجلس وتتكىء الى الوراء) .

لا ، سأقول هذا لآرشي ... لقد حرص دائما

على العنـــاية بجمـــال مظهرك ، وكنت تلوحين كالصورة الصغيرة على الدوام ، بل أقول انه أنفق الكثير . لقد كان صبيا أنيقا هو نفسه . كنت ألبسهم ملابس البحارة اذ ذاك . لقد كان صبيا جميلا . عجيب كيف يتبدلون جميعـــا . (سكتة ثم برقة واخلاص) انى لأشعر بالحزن من أجلكم أيها الناس . فأنتم لا تعرفون حقيقة الحياة . انكم لم تعيشوا معظمكم ، ولم تعرفوا أبدا ما هى الحياة ، الحق أنكم تعساء جميعا ، لا تعرفون كيف يمكن أن تكون الحياة .

(الأضواء تتلاشى ــ ينزل ستار خلفى معلق) .

(٢)

ستار امامى ــ المسرح مظلم ــ الضوء الكاشف مسلط على الزاوية المناســبة . تعزف الموسيقى ــ يدخل آرشى رايس .

آرشى : مساء الخير سيداتى وســادتى . اسمى آرشى رايس . حبيب مسز رايس . ســوف نقــوم بتسليتكم خــلال فترة الســاعتين والنصــف القادمة ، ولقد بدأتم فى هــذا بالفعل . فقــد

أغلقت كل أبواب الخروج . وبمناسبة الكلام عن اغلاق أبواب الخروج فان بعض النـاس يجب أن تقفـل عليهم أبواب السجون . أن يسجنوا . هـذا صحيح بشرفى . سأعطيكم حالة من هذا النوع . حالة من هـذا النوع . زوجتى ... زوجتى . تشارلى العجوز يعرفها . أليس كذلك يا تشـارلى ؟ تشـارلى العجوز يعرفها . انها عملية حقيقية لأى مقاول لاصلاح الطرق ، أليس كذلك يا تشارلى ؟ لا بأس . لقد أخذت حفارته منه الآن . أخذتها . أليس كذلك يا تشـارلى . انه الرجـل السوبرانو الوحيد فى اتحاد الموسيقيين . أنا أعرف ماذا تنتظرون . أنا اعرف ماتنتظرون ومن ذا الذى لا يعرف . وانما عليكم أن ترفعوا فؤوسكم ... فسوف تهوى فى ظرف دقيقة . عليكم أن تنتهوا منى أولا . والآن ... الآن ...

لكى نفتتح العرض سأغنى أغنية صغيرة كتبتها بنفس أرجو أن تعجبكم .

لمـاذا أحمـل الهم ؟
لمـاذا أتركه يسـنى
لمـاذا لا أجلس وأحاول

أن أجعله يمر من فوقى ؟
لمـــاذا أتركه يرهقنى ؟
لمـــاذا يشخصون الى بأبصارهم ،
ما فائدة اليأس ،
اذا كانوا يسمونك أمينا عادلا ؟
انك اذن ميت منذ زمن طويل
مثل صديقى فريد .
واذن فلماذا ، أوه لماذا أعنى بحمل الهم ؟

(يرقص رقصه المعتـــاد) .

لمـــاذا أحمل الهم ؟
لمـــاذا أتركه يمســـنى
لمـــاذا لا أجلس وأحاول
أن أجعله يمر من فوقى
لمـــاذا يشخصون الى بأبصارهم
لمـــاذا أتركه يصرعـــنى ؟
ما فائدة اليأس
اذا كانوا يسمونك أمينا عادلا ؟
انهم لو رأوك محزونا لسخروا منك
واذن فلماذا أعنى بحمل الهم
(الحمد لله أنا شخص طبيعى)
واذن فلماذا أعنى بحمل الهم ؟

(يخرج) .

(تتلاشى الموسيقى . يرتفع الستار الخلفى عن بيلى وجين وفويبا . فويبا فى حوالى الستين ذات شعر أشقر كان جذابا فى زمانه وما زالت تبذل له عناية كبيرة . وجهها معالج بالأصباغ ولكن فى غير حذق . لا تستقر أبدا ولا تصغى أبدا — شأنها شأن معظم أفراد هذا البيت . اما اذا اضطرت للجلوس والاصغاء لأى انسان فانها عادة تصير شاردة اللب متضايقة ، جالسة على حافة كرسيها ، تتلوى أصابعها حول شعرها . والآن نراها محمرة الوجه كطفل متأهب للانفعال) .

فويبا : أوه ، لكم سيكون سعيدا برؤيتك . (لبيلى) أليس كذلك ؟ ولكن لماذا لم تخبرينا حتى أعد لك شيئا أواثقة أنت من أنك لا تحتاجين لشىء عندى قطعة من لحم الخنزير ... اشتريتها هذا الصباح . ألا تحبين شيئا منها ؟

جين : لا . شكرا ياعزيزتى . لقد قلت لك اننى جئت عفو الساعة .

فويبا : صحيح . . . قلت لى هذا . وكذلك ذكرت فى خطابك شيئا عن سفر فى عطلة

الأسبوع . هل وقع ما لم يكن فى الحسبان ؟

جين : غيرت رأيى .

فوبيا : أوه ، حسنا . انه لجميل أن نراك . أليس كذلك يا بابا ؟ انه مسرور . قلما يجد من يحادثه . أليس كذلك ؟ أقول أنك قلما تجد أى فرصة للحديث . انه ينفرد هنا أغلب الوقت. وليس هذا ذنبى . انه لا يجب أن يصحبنى الى السينما . ولكن ينبغى للانسان أن يذهب الى مكان ما ، هذا ما أقوله له . فالانسان يتصلب ضيقا بالجلوس فى البيت . انه يحب أن يسمع تمثيلية من الراديو فى بعض الأحيان . قد تحبين التمثيلية الجيدة ، ولكنى لا أستطيع الجلوس طويلا بل أفضل شيئا من السينما .

بيلى : أنا لا أشكو شيئا .

فوبيا : على أى حال فالسينما نوع من الجلوس أيضا ولكن الأمر يختلف ، أليس كذلك ؟ فلنفتح هذه (تشير الى الزجاجة التى على المنضدة) ما كان ينبغى أن تشترى الجن . انها شقية .

أليس كذلك ؟

بيلى : كان يجب أن تكون أكثر تعقلا ... انها تبذر نقودها .

فوبيا : لا بأس ... انها كبيرة القلب ، هذا هو الشىء الأهم . ناولينى قدحين ، ستأخذين واحدا معى، أليس كذلك ؟ أنا لا أريد أن أشرب وحدى .

جين : وهو كذلك . قدح صغير .

فوبيا : أوه ، آسفة يا بابا ، أتريد كأسا ؟

بيلى : لا ، أشكرك .

فوبيا : أوه ، انه لذيذ . يا للخجل ... كان المفروض أن أعود الى البيت قبل الآن ولكنى بقيت لأرى جزءا من الفيلم الكبير مرة أخرى .

بيلى : أنا أعقل من أن أبالغ فى هذا

جين : كيف كان الفيلم ؟

فوبيا : الفيلم ؟ أوه ، لم يكن كبير الأهمية . ولكن كان فيه الشخص اللطيف ، ما اسمه ؟ أوه ، انه يغنى أحيانا ، ذو عينين غائرتين سوداوين . لعلك تعرفين من الذى أقصده .

جين : هل هو أمريكى أم بريطانى ؟

فوييا : أوه ، لست أدرى . أمريكى على ما أظن .

جين : ما اسم الفيلم ؟

فوييا : (تضحك) ويحى . ينبغى أن تكونى أعقل من أن تسأليني هذا السؤال . أنت تعرفين مبلغ ضعف ذاكرتى . هيا . فى صحتك (تشرب أووه ، انها لرشفة لذيذة من الچن .... بعض الخمر التى يقدمونها لك الآن ... لها طعم العطور الرخيصة . يجب أن تسمعيه وهو يتكلم عن البيرة . لا . انهم يعرضون كثيرا من الأفلام التافهة فى دور السينما هذه الأيام . لم أر فيلما واحدا جيدا منذ أجيال . يظهر أن لا شيء فيها سوى العصابات أو الغناء ، اما هذا واما أفلام رعاة البقر . انه لا يهتم بها كثيرا ، ولكننى لا أستطيع أن أحتمل هذا السيل من اطلاق الرصاص ، انه يسبب لى الصداع ، ومع هذا فانى شنيعة ... اذا لم أجد شيئا آخر معروضا فانى أذهب كالعادة ، أليس كذلك ؟ حتى ولو الى الدار التى يعشش فيها البق التى على الناصية ، حيث اشترى لنفسى حلوى بستة

بنسات وأقضى ساعتين بصرف النظر عما هو معروض . وعلى فكرة ، سمعت انهم سيغلقون هذا المحل . لقد ساءت الأحوال كلها ، هذا ما أقوله لآرشى . بالطبع انه قلق لأن حالة العمل سيئة . وهذا هو الواقع . ان الناس ليس لديهم نقود ، أليس كذلك ؟ أنا فى محل وولويرث الآن ، هل أخبرتك ، أعمل فى قسم الأدوات الكهربية . لا بأس بالعمل . كل ما فى الأمر أن البنات عاديات بعض الشيء . أوه انه لجميل أن أراك . سيكون آرشى مسرورا جدا . انها ممتقعة اللون ، ألا تظن هذا ؟ أترى انها تبدو ممتقعة قليلا ؟

بيلى : انها تبدو على ما يرام .

فوييا : لا أظن أنها تتغذى كما ينبغى . أنت تعلم شأن هؤلاء الشابات . انهن شديدات الاهتمام بقوامهن . اذن فأنت لم تسافرى لقضاء عطلة الأسبوع آخر الأمر ؟

جين : لا .

فوييا : جراهام بخير ، أليس كذلك ؟

جـين : نعم أنه بخير .

فوبيـا : لم يحدث ما يعكر الصفو ... هل حدث ؟

بيلى : لماذا لا تعنين بشئونك اللعينة ؟ انها ستقول لك لو أرادت .

فوبيـا : هو ذاك ، أنا أعلم هذا . لن يضيرها أن تخبرنى لو أن هناك شيئا ، أليس كذلك ؟

جـين : وقع خلاف بسيط ، لا شىء أكثر من هـذا . هذا كل ما فى الأمر .

فوبيـا : حقا انها ليست ابنتى ، غير أننى عاونت قليلا فى تربيتها ، أليس كذلك ؟ انها ابنة آرشى . وقد يبدوغريبابعض الشىء أن لا أهتم بكونها سعيدة أو لا . أوه ، على كل حال ياعزيزتى لاتهتمى أبدا، سوف تصلحين الأمر حالا . ان الرجال مخلوقات عجيبة . لست فى حاجة لأن تهتمى بهم أبدا .

جـين : (مبتسمة) أتمنى ذلك . هذاحق. خذى كأساآخر.

فوبيا : سوف تشعرين بالتحسن حالا. ماالذى تشاجرتما بسببه ؟ أراهن على أنه شىء سخيف. هل فسختما الخطبة ؟

جـين : لست أدرى . يجوز .

فوبيا : أوه يا عزيزتى . انى لآسفة .

جـين : لقد ذهبتُ الى رالى فى ميـدان ترافلجار يوم الأحد المـاضى .

بيلى : ماذا فعلتِ ؟ !

جـين : ذهبتُ الى رالى فى ميدان ترافلجار .

بيلى : لمـاذا بالله ؟

جـين : لأننى ، يا جدى ، بطريقـة ما ــ ومع كثيرين غيرى ، مع ماقد يبدو فى هذا من غرابة ــ أردت أن آخذ لنفسى فكرة عن الطريقة التى تجرى بها الأمور .

بيلى : فذهبتِ الى ميدان ترافلجار ؟ !

فوبيا : لقد قالت هذا ، أليس كذلك ؟

بيلى : اذن فأظن أن رأسك اللعين فى حاجة الى فحص ؟

جـين : كان هـذا بالتقريب رأى جراهام . وكل ما فى

الأمر أنه يصغرك بنحو خمسين سنة فعبر عن رأيه بطريقة مختلفة بعض الشيء . والواقع أن المسألة كلها بدأت حول شيء ما أردت أن أفعله ، واذ ذاك انهمر السيل ، أشياء كثيرة . كل أنواع المرارة ... أشياء ما كنت لأعلم حتى بوجودها .

بيلى : لم أكن أعلم أنك تهتمين بالسياسة .

جين : ولا أنا . لقدكنت أجد الأمركله باعثا على الملل.

بيلى : يا رحمن يا رحيم . لقد رأيت غرائب فى حياتى . هذه تتيجة اعطائهن حق التصويت اللعين . انهن يبدأن فى فسخ خطباتهن لمجرد انهن يصدقن كل من هب ودب ممن يكتبون فى الصحف .

فوبيا : أوه ، اسكت ولو دقيقة واحدة يا أبى . (الى چين) هل تشاجرتما بسبب شيء أردت أن تفعليه ؟

جين : نعم انها ... حكاية معقدة . أظن اننى كتبت اليك وأخبرتك بأننى كنت أدرس الفن لعدد من فتيان نادى الشباب .

فوبيا : أوه ، نعم ، كان هذا منذ مدة طويلة جدا .

جـين : منذ سنة تقريبا . فقد عرفت شخصا كان يؤدى نفس العمل ــ وهو شاب يعرفه جراهام ، وقد ذكـر لى أنه ضـاق ذرعا به وأنه لا يستطيع الاسـتمرار فيـه . وقال لى « انهـم ثلة من المناجيس الصغار ، واذا كان هناك من يعتقد أن فى الاستطاعة تعليم هؤلاء الشياطين أن يخلقوا شيئا فهو مجنون . فما هم الا ثلة من المناجيس الصغار » . هذا ما قاله . غير أن شـيئا ما ... جعلنى تواقة الى أن أجرب هذا العمل . لم يكن وراءه أى كسب ، مجرد بضعة شلنات لبضع ليال كل أسـبوع ، ولكنه كان شـيئا أعرف القليل عنه ، أو ظننت انى أعرفه ... لم أتقن التصوير بالألوان أبدا طول حياتى ، ولكن خيل لى أن هذا أمر أسـتطيع حقا أن أفعله . حتى ولو كان مجـرد عراك مع حفنة من الفتيـة المتمردين . ولقد اعتقـد رئيس النـادى اننى مجنونة ، وكذلك جراهام .

فوبيـا : لا أستطيع أن ألقى عليه اللوم حقا . انه لا يبدو عملا طيبا من أى وجهة ــ خصوصا لفتاة شابة مثلك يا جين . يلوح لى أنهم عصابة فاجرة حقا .

جـــين : لقد كانوا كذلك . بل كانوا أفجر مما يطيق أى واحد من الشبان الذين تعهّدوهم من قبل .

فوبيـــا : اذا كانوا لا يريدون أن يتعلموا فلماذا يذهبون بحق السماء ؟

جـــين : كانت دراسة اجبارية ، فاذا حضروا درسا من دروسى كل أسبوع كان لهـــم أن يشتركوا فى وجـــوه النشاط الأخرى بالنادى ... كالرقص وما اليه . لقد صارعت هؤلاء الفتيان ، وكان طول بعضهم ثمانى أقدام ، ولقـــد كرهت ذلك معظم الوقت ، وكرهتهـــم . كنت أزعم لنفسى انى لا أكرههم ولكنى كرهتهم . كنت أكرههم ولكنى حسبت نفسى بالغة شـــيئا ما . والآن يريد جراهام الزواج منى ، الآن قبل أن يحصل على اجازته الدراســـية ، ولكنى رفضت . انه لا يريدنى أن أعمل شيئا لنفسى . لا يريدنى أن أهدده أو أهدد دنياه ، لا يريدنى أن أنجح . ولذا فقد رفضته . وعند هذا توالت المسائل ... ميدان ترافلجار وغيره . وكما تعلمين لم يسبق لى أن تحققت ، بل لم يخطـــر على بالى قط ، انك تستطيعين أن تحبى انسانا ما ، وأن تريديه،

وتريديه أربعة وعشرين ساعة كل يوم ، ثم تكتشفين فجأة أن لاواحد منكما يعيش حتى فى دنيا الآخر.أنا لا أفهم هذا . أنا لا أفهمه وكفى. بودى أن أستطيع فهمه . انه مفزع . آسفة يافوبيا ، ما كان من حقى أن أشرب من هذا « الجن » فقد اشتريته خصيصا لك .

بيلى : الحق أننا لانحتاج الاالى بضع حمامات هنا لنقلب هذا المكان الى ميدان ترفلجار . لم أر فى حياتى مثل هذا المكان اللعين المعرض لتيارات الهواء . كل من هنا يترك الشبابيك والأبواب مفتحة . لا أعتقد أن هذا مناسب للصحة . أقول لكم انكم تدخلون من باب فيقذف بكم الى الباب الآخر .

جين : كيف حال ميك الصغير ، هل وصلتكم أخبار منه ؟

فوبيا : أوه ، نعم بالطبع . لقد رحّلوه هناك ، وعلمت هذا ، ألم تعلمى ؟

جين : نعم ، علمت .

فوبيا : ان آرشى قلق عليه . انه لا يصرح بهذا ولكنى

أعرف أنه قلق . ان الأمر عجيب حقا لأنه يبدو أنهما لم يكونا على اتفاق قط فى كثير من النواحى ، لا كما فعلت انت أو هو أو فرانك . انه ولد عاقل جدا ، ميك الصغير . مستقيم جداً. أستطيع أن أقول لك ان النوم جفانى طويلا هذا الأسبوع .

بيلى : انه ولد طيب . عندما استدعوه ، ذهب دون جدال ولم يقل شيئا . ذهب بكل بساطة .

جين : (فجأة) وعندما استدعوا فرانك رفض ، ودخل السجن من أجل ذلك ... ستة شهور . فرانك الصغير المملوء بالشكوك فى نفسه وفى كل الناس ، المريض بالبرد فى رأسه نصف العام ، ضعيف الصدر . كان محظوظا اذ نجح فى الصف الثالث . مسكين فرانك (لفوبيا) انه ليس مكتمل القوة كما كنت تقولين على الدوام. كنت تخرجين لتشترى له بعض الحلوى ليأكلها، بل انك ما كنت لتتركيه ينظف حذاءه بنفسه ، لا ، لقد كنت تنظفينه له . ولكنه ذهب وقال لا ، والأدهى أنه عوقب بالسجن من أجل ذلك. أوه ، لقد استسلم فى النهاية ، ولكنه قال

لا فخسر ستة شهور من حياته المعتلة المحوطة بالرعاية ... لقد قال لا . وانى لأرى شيئا ما فى هذا . فانتَ لا ينبغى لك أن تقارن ميك الصغير نفرانك يا جـدى . والآن لِمَ يبـدو عليكما التأذى ؟ لست أهاجمكما . انى لأحب كليكما حبا جما ، ولكن لعله لم يكن ينبغى لى أن أبدأ فى شرب الچن وأنا فى القطار .

(سـكوت) .

فوييـا : حسنا ، فلنقفل هذا الموضوع الآن .

بيـلى : لم أقل الا أن ميك كان ولدا طيبا .

جـين : وهو كذلك . انه ولد طيب جـدا . انه شاب شجاع فى التاسعة عشرة من العمر يحارب من أجلنا جميعا ، لم يتعود أبدا بطريقة ما أن يقول لا ، ولم يرد أبدا أن يقولها ، وانى لأرجو من الله أن يعود سالمـا .

فوييـا : أوه يا عزيزتى چين ، تعتقـدين أنه سـيكون بخـير ، أليس كـذلك ؟ لست أدرى لمـاذا يرسلون هؤلاء الصبية الى الخـارج ليحملوا عبء القتال . انهم ليسوا الا صبية صغارا ،

هذا كل ما فى الأمر . وليس هو الا صبيا صغيراً.

بيلى : انك لا تستطيعين التمرد على قومك يا چين . لا تستطيعين أن تفعلى ذلك .

جين : أين فرانك ؟ قَوْمى ... ومن هم قَوْمى ؟

فوبيا : انه يعزف على البيانو فى أحد تلك المشارب التى تعمل حتى أواخر الليل . انه لا يكاد يعرف ماذا يصنع بنفسه منذ أن خرج من ذلك المكان، من ذلك السجن اللعين . لن أنسى هذا ما حييت. أن يجعلوه يدخل السجن . لن أنسى ذلك ما حييت . لن أستطيع أبدا .

جين : على أى حال لقد انتهى الأمر الآن . اليك كأسا آخر من الچن . لقد اشتريته لك .

فوبيا : لا أريد . ثم حمله على ذلك العمل الذى لا ينبغى لغلام مثله . حمّال فى مستشفى . أتعلمين انهم شغلوه وقّادا للغلايات ؟

جين : نعم . لعله كان أحسن حالا فى الجيش ... يتدرب على الطعن بالسونكى .

فوبيا : أنه لم يقل لى كلمة واحدة عن ذلك . كنت أتمنى ألا يفعل هذا على أى حال . وانى لأتساءل هل

يكون ميك أحسن حالا آخر الأمر . أعنى أنهم يرعونهم بالفعل ... أليس كذلك ؟

جين : أوه نعم . انهم يرعونهم كما ينبغى .

بيلى : يرعونهم الآن خيرا مما كانوا يفعلون أيام كنت هناك . لم أقرأ صحيفة المساء بعد . موقعة الدردنيل . لقد خرجت منها بدون خدش . بدون خدش أصابنى .

جين : انهم يبسطون رعايتهم علينا جميعا . نحن على ما يرام جميعنا . لا شىء يثير القلق نحن على ما يرام (تضغط على الكلمات) . حفظ الله الملكة .

(ظلام تام . يرفع الستار) .

(٤)

(ضوء كاشف على آرشى امام الميكروفون) .

آرشى : لقد مثلت أمامهم جميعا . الملكة . ودوق أدنبره . والبرنس أوف ويلز . و ... ما اسم هذا الشاب الآخر عجبا، كان هذا أحسن فى العرض الأول . (سكوت) لقد خلعت نظاراتى . لا أحب أن أراكم تتألمون . ما شأن هؤلاء النواحين ...

اه ؟ ما شـأن هؤلاء المغنـين ؟ لا أدرى علام نحن مقبلون . لا أدرى ... شرفا . انظروا الى القمامة التى يغنونها . انظروا الى الأغانى التى يغنونها : « رقصة أدعياء المدينـة المظلمة » . « رقصة نشّارى الخشب » . « رقصـة شارع الحوض » ... انها أكوام من القمامة ، أليس كذلك ؟ . أراهن انكم ظننتمونى « نمـرة » سخيفة قبل أن أظهر ، أليس كذلك ؟ وماذا عن هؤلاء البنات ؟ (يشـير الى مؤخرة المسرح) ما القول فيهن ؟ ساحقات . أراهن انكم تظنون اننى أقضى وقتا طيبا هنا فوق المسرح مع كل هؤلاء الفتيـات المستعرضات ، أليس كذلك ؟ معكم حق . تظنون من مظهرى أننى جذاب جنسيا ، أليس كذلك ؟ لا يا سيدتى . مظهرى لا يدل على جاذبية جنسية ، أليس كذلك ؟ (سكوت) أسألوه (ويشير الى قائد الأوركسترا) أسألوه (يحملق فى النظارة) أتظنون بى هذا ، أليس كذلك ؟ تظنوننى كذلك ؟ أبدا ، لست كذلك . ولـكنه هو (يشـير مرة أخـرى الى قـائد الأوركسترا) انى أفضل زجاجة من البـيرة فى أى يوم .

والآن سأغنى لكم أغنيــة صــغيرة ، أغنيــة صغيرة ، أغنية صغيرة كتبتها أخت الزوجــة ، أغنية صغيرة عنوانها «لن تدق أجراس الكنيسة القديمة الليلة . » . شكرا لك يا تشارلى .

« نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحــد فرقم واحــد هى الواحــد الأوحــد عنــدى ياانجلترا العجوز الطيبة، أنت لى كقدح الشاى ولكننى لا أريد مساواة باهتة .

لا تَدَعوا مشاعركم تتوزع .

ولكن اذكروا ان الاحسان يبدأ داخل الوطن لأن البريطانيين سيكونون أحرارا .

ان مشروع التأمين الصحى لن يجلب لكم الثراء فهــذه الشعور المستعارة والنظارات اللامعــة انما تباع لى ولكم .

والجيش والبحرية وســلاح الطــيران
هى كل ما نحتاجه لحمل الهدامين على أن يروا انه ما زال مِلْكا لــكم ذلك الأحمر والأبيض والأزرق

(ينزل العلم البريطانى) .

وهذه القطع الحمراء التى ما زالت على الخريطة
لن نتخلى عنها دون قصاصة من الورق .
مما لدينا مما بقى
سنحافظ عليه ونرفعك أيها العلم .
أوه ، فرقم واحد هى الواحد الأوحـد عندى
نحن جميعـا فداء للعجوز الطيبـة رقم واحد
نعم ، فرقم واحد هى الواحد الأوحـد عندى .
بارك الله فيكم !!
رقم واحد هى الواحد الأوحد عندى !
رقم واحد هى الواحد الأوحد عندى ! »

(يخـرج) .

(٥)

بيلى . فوبيا . چين

بيـلى : كن رشيقات ، وكان فيهن غموض ووقار . نعم فعنـد ما كانت المـرأة تخرج من العربة كانت تنزل . تنزل . وكنت تمدّين اليها يدك برشاقة لتساعديها على النزول . انظـرى اليهن الآن . أما رأيت أبدا امرأة تخرج من سيارة ؟ حسنا ، هـل رأيت ؟ لقـد رأيت أنا ، ولا أريد أن

أراها مرة أخرى ، أشكرك شكرا جزيلا . انى لم أر أبدا ساقى امـرأة حتى بلغت التاسـعة عشرة . لقد تزوجت وأنا فى التاسعة عشرة كما تعلمين . ولم أكن تجاوزت العشرين عندما ولد آخو آرشى . بيل الكبير . لقد سير أموره على أى حال . انى لا أذكر المرة الأولى التى وقعت عيناى فيها على جدتك . لم تكن قد تجاوزت الثامنة عشرة . كانت ترتدى معطفا من القطيفة، وكان أسود ، أسود بفراء على حافته ، وكانت هـذه هى « المـودة » فى ذلك الوقت . كان محبوكا على قامتها . وكانت وهى تلبس قبعـة الفرو الصغيرة والدثار أشبه ما تكون بالصور.

(آرشى يدخل مندفعا وبين ذراعيه كيس وزجاجات يضعها بسرعة . آرشى رايس يشرف على الخمسـين . شعـره مرجل يخالطه المشيب . يلبس نظارات وبه انحناء بسيط نتيجة نوع من ادعاء العلم انتحـله أصلا منذ ثلاثين سنة حين تخرج من احدى تلك المدارس العامة الصغرى فى لنـدن ، التى كانت تعمـل عادة على تخريج بعض مغامرى الطبقة الوسطى التافهين وكذلك مديرى البنوك والشعراء . والسيـدات يحببنه ويدللنه لأنه أليف جدا وتبدو عليـه

مظاهر السادة . وبعض زملائه من الفنانين يسمونه « الأستاذ » أحيانا ، كما يسمى نقيب الجيش المتقاعد « رائدا » ، وهو يبدى ابتسامة عطف نحو هذه البساطة ، حيث يعلم أنه لا ينتمى الى أى طبقة ويلعب دوره كما يحسنه ، وهو يبدى بعض العطف على أبيه ويكن له اعجابا عميقا . وهو عطوف على زوجته فوبيا التى يشفق عليها من كل قلبه ، وهذا هو ما منعه من تركها منذ عشرين سنة . أم أن هذا — كما يظن كثير من الناس — لأن الشجاعة تنقصه ؟ وعلى أى حال فانه لا يدارى علاقاته المتصلة بالنساء الأخريات — حقيقة أو خيالية ، فهى جزء من شفقته ومن عطفه ومن اسطورته الشخصية . وهو يعطف على ابنه الأكبر فرانك الذى ليس على طرازه من التسامح والتصوف والشجاعة ، والذى يكن له حبا يكاد يكون غير حقيقى ولا مترجم . يقابل هذا أن عطفه على ابنته جين أكبر اقترانا بالحرص والمكر والشك . فهو يحذر ذكاءها لعلمه أنها قد تكون أقوى من بقيتهم . وما يقوله لأى انسان يلقى به على الدوام تقريبا فى عناية بالغة . أما ما يبدو عليه من شرود الذهن فهو من حيل الممثل الهزلى ، حيث يخلصه من أن يبدو عليه الاهتمام بأى شخص أو أى شىء) .

آرشى : نعم ، نعم ، عدنا الى سيقان النساء !! (للآخرين)

هذا ما يسميه شـــتيرن ركوب متهركٍ برأس متزن . أظنه كان شـــتيرن ، على أى حال ، أو لعله جورج روبى ؟ أوم ... هالو يا عزيزتى ، انه لشىء جميل (يقبل چين) ان نظاراتى ليست على عينىّ ، خيّل لى أنك محصل ضريبة الدخل جالسا هناك بعد ما ظننت اننا اقتلعناه . هـــل انت بخير ؟

جـــين : شكرا لك . لقد شربت كمية كبيرة من الچن فى انتظارك .

آرشى : لا بأس ، يمكنك أن تشربى كأسا آخر منه بعد قليل . لم تحجزى مكانا فى فندق أو أى مكان محترم ، أليس كذلك ؟

جـــين : لا ، ولكن ....

آرشى : جميل جدا انى أنام وحدى الليلة ، فباطن ساقى يؤلمنى كالعادة . وبوسعك أنت وفوبيا أن تناما فى غرفتى وسأضطجع أنا على الأريكة . كنت أتحادث الآن مع صديقنا الملون على السلم .

فوبيـــا : أنه طالب .

آرثى : لا ، أنه ليس طالبا . بل راقص باليه .

فوبيـــا : (مندهشة) هل هذا صحيح ؟ (لچين) انه انسان ضخم .

آرثى : انه يرقص فى مسرح الحديقــة الشــتوية لمدة أســبوعين .

بيـــلى : راقص باليه !!

آرثى : لقد أخبرنى أنك لو أسقطت قبعتك هناك الآن فان عليك أن تدفعها برجلك نحو الممشى قبل أن تستطيع التقاطها

(يقف بسرعة ثم يستأنف الحديث عن خبرة) .

ليسوا جميعــا من الملونين . رأيت اثنين منهم فى الأوتوبيس فى طريق عودتى الى المنزل أمس، كانوا يتحادثون معا طول الوقت والكل يصغى اليهم . وبمجرد أن قمت لاضغط على الجرس صاحت امرأة ، « لقد فقدت ولدين فى الحرب من أجل أمثالكم » . فظننت لحظة أنها تقصدنى، ولهذا اســتدرت ، ولكنى وجدتهــا تضربهم بمظلتها وكأنما جن جنونها .

بيـــلى : أنا لا أحب أن أرى رجلا يرقص كهذا .

آرشى : عملت مرة فى فرقة استعراضية بها راقصان من الذكور ، وحيثما ذهبنا ، وفى ليلة الاثنين من كل أسبوع ، اعتادت احدى النساء أن تشكو من انتفاخ سراويلهـا . حيثما ذهبنا ، كل ليلة اثنين . أنا واثق أنها كانت نفس المـرأة فى كل مرة ، وكنت أسميها « تابع القافلة » . والآن ماذا تتناول ؟ فلننظر ماذا عنـدنا (يفتش فى الحقيبة وفى جيوبه) .

بيـلى : هناك برقية لك .

فوبيـا : ألا تظن أنها تبدو شاحبة بعض الشىء ؟

آرشى : انها تبدو لى بخير . كل ما فى الأمر أنهـا فى حاجة الى كأس .

بيـلى : (وقد بدأ يتعب ويتململ) هناك برقية لك !!

آرشى : هل كنت فى المشرب أيها الفتى العجوز ؟

بيـلى : لا لم أكن ! كنت جالسا هنا أتحدث مع چين .

آرشى : يجب أن أذهب الى الفـراش اذا كنت تشعر بالتعب .

بيـلى : لست متعبا ... انى أستطيع أن أسـهر حتى تخرج فى أى يوم .

آرشى : (يتناول البرقية) كنتم تسقونه هذا الچن المريع . انه يتحدث كما لو كان كبيرا للسقاة فى زى الكهنوت . انه أحد دائنى . فلتنتظر (يرميها على المنضدة) لعلك تظن أنهم سيزدادون علما هذه المرة !! عندى بعض الچن كذلك ... وعندى ديبونيه مما تحبه فوبيا العجوز ، أليس كذلك يا عزيزتى . انها تعتقد انها تصير (لام ألف) عندما تشربه ، أليس كذلك ؟

فوبيا : انى أحبه ، يظهر أنه يناسبنى . أنا لا أستطيع أن أشرب الچن خالصا كما يستطيع هو . (لآرشى) علام كل هذا ؟ هل كانت ... هل كانت الأمور على ما يرام فى المسرح ؟

آرشى : لا ، لم تكن الأمور على ما يرام فى المسرح . فى ليلة الاثنين كان هناك ستون متسكعة بائسة ، والليلة كان هناك حوالى مائتى متسكعة بائسة . ولو أمكننا أن نفتتح العمل ليلة الاثنين فى وست هارتلپول فسيكون ذلك بالموافقة المقرونة بالتحفظ الشديد من نحو ثلاثين شخصا غاضبين . ولكنى لا أريد التفكير فى هذا الموضوع الليلة .

فوييـــا : أوه يا آرشى .

آرشى : هيا ، تناولى الديبونيه ياعزيزتى ، لا تصيرى عاطفية أبدا . چين ، هنا كأسك . بيلى ، اصحُ .

بيــلى : أنا صـــاح .

آرشى : كف عن الصياح اذن . انك تبدو كواحـــد من المعلنـــين التجــاريين فى التليفزيون . هـــاك كأسا لك .

بيــلى : لا أريد كأسا قذرة .

آرشى : أنك تبدو كما لو كنت ستغنى ترنيمة .

بيــلى : أنا تعبـــان .

آرشى : هذا خير ... خذ كأسا واذهب الى فراشك .

بيــلى : لم أقرأ صحيفة المساء حتى الآن .

آرشى : لا بأس ، اذا كنت قد ربحت الجائزة الكبرى فسنقرأ عن ذلك فى الصباح .

بيــلى : أنا لا أريد أن أبقى هنـــا وأركد حتى لو أردت أنت . أريد أن أعرف ماذا يجـرى فى الدنيـــا .

آرشى : نعم ... الحق أنك حسن الاطلاع الى درجة مدهشة (للآخرين) أنه يعتبر قارئا ممتازا بالنسبة لمثل عجوز جاهل .

بيسلى : لست ممثلا عجوزا جاهلا .

آرشى : بلى . انك لكذلك . والآن لا تجادل واشرب كأسك . انى أقيم احتفالا .

بيسلى : احتفال !! ماذا لديك تحتفل به ؟

آرشى : عجبا .

بيسلى : (يقف) ليس لديك شيء واحد تستطيع أن تعتبره ملكا لك . وبمثل ما أنا متأكد من أن الله خالق التفاح الصغير ، أراهن بجنيه لبنس انك ستنتهى الى قاضى التفليسات مرة أخرى قبل الكريستماس ، وستكون محظوظا اذا لم تدخل السجن كذلك .

فوبيا : خذه الى الفراش يا آرشى ، لقد غلبه التعب .

اذهب الى الفراش فقد غلبك التعب .

بيسلى : لم يغلبنى التعب . أنا لا أحب فكرة وجود نزيل سجن آخر فى العائلة .

فوييـــا : اهدأ يا أبى . لقد شربت فوق الكثير .

بيـــلى : فى اســـتطاعتى أن أشرب معكم حتى تفقـــدوا الوعى أجمعين .

آرشى : يا عجبا ، لقد بدأ يتحول الى متدين الآن .

بيـــلى : انى كنت أتناول نصف زجاجـــة من البراندى ذى النجوم الثلاثة فى وجبة الافطار ...

آرشى : ورطـــلا من البفتيك وفتـــاتين من الكورس . سيحكى لكم القصة كلها فى لمح البصر .

بيـــلى : (غاضبا) انى أترك فتيات الكورس لك أنت .

آرشى : لا شيء يعدل أن تقطع لنفسك شريحة جميلة من لحم الخنزير .

بيـــلى : انى أفهم ما تعنيه .

آرشى : لا يأخـــذك الهيـــاج يا أبى . انك ســـتوقظ البولنديين .

بيـــلى : لا تحدثنى عن هذه الحفنة من القطط الملونة . كان فى اســـتطاعة أى بريطانى على الدوام أن يقضى على نصف دستة من هذا الصنف . ولكن الأمر لا يبدو كذلك الآن .

آرشى : حسنا ، لا بأس . لا تصسد علينا المأدبة ...

بيــلى : انى متكفل بنفسى ، وهو آكثر مما فعلت طول حياتك . وأحب أن أقول لك انى تلقيت العلم فى واحدة من أحسن المدارس فى انجلترا .

آرشى : لقد خرّجت قائدا عاما ذا ميول فاشية قوية ، وشاعرا كاثوليكيا فاشلا وآرشى رايس .

ببــلى : هل تعرف ماذا قال عنى جيمس آجيت ؟

آرشى : آوه نعم ... قال انك ومسز بات كامبــل كنتما خير من تقلدانه من النساء .

بيــلى : انك تعلم جيدا ما قال .

(آرشى يعلم بطول التجربة الى أى حد يستطيع التمادى وهــو يحاول بلطف أن يدير الموقف) .

آرشى : نحن نعلم جميعا ما قاله ، وكل كلمة منه كانت حقــا .

(ببلى يحدق فيه ويتحسس نظارته) .

آرشى : حسنا ، كنت أقول قبل أن يقاطعنى أبى الجاهل العجوز ...

بيــلى : ليس هنــاك ما يخجــل فى أن تكون ممثــلا

عجوزا . وهيهات أن تكونه أبدا ، انك لا تعرفه معنى هذه الكلمة .

آرشى : أوه اذهب الى فراشك يا أبى ... فقد بدأ الحمق يغلب عليك .

بيـــلى : كان من المتعـــين أن تكون ذا شـــخصية لكى تستطيع أن تصبح ممثلا هزليا فى ذلك الوقت . كان لا بد أن تكون حقا انسانا له اعتباره .

آرشى : سبب هذا الاحتفال الصغير أن غدا ... أوه بل اليوم على الأصـــح ... يوافق عندى الذكرى العشرين .

فوبيـــا : الذكرى العشرين ؟ أى ذكرى ؟

آرشى : الذكرى العشرين لعـــدم دفعى ضريبة الدخل . فآخر مرة دفعت فيهـــا ضريبـــة الدخل كانت فى سنة ١٩٣٦ .

بيـــلى : سيمسكون بخناقك فى النهاية . سوف ترى .

آرشى : وهو كذلك يا حبيبى ، يمكنك أن تغنى لنـــا ترنيمة بعد قليل . انى لأظن هذا انتصارا بالغ الدلالة وانى لأستحق نوعا من الجـــائزة عليه .

(لچين) ألا تعتقدين أن أباك العجوز يستحق جائزة ؟

جـين : انى لأتساءل الآن كيف وصل بك الأمر الى أن تدفع ضريبة دخل فى سنة ١٩٣٦ .

آرشى : سوء الحظ . هذا كل ما هنالك . كنت حبيس المستشفى بسبب فتاق مزدوج ، وكان غاية فى السوء ومعقدا بشكل مريع حتى ظننت أن كل خططى للمستقبل ستنهار فى لحظة . على كل حال هذه مسألة أخرى سأرويها لك يوما ما . كنت هناك راقدا على ظهرى أتساءل هـل بيرة باص * وحدها تكفى لأن تجعل الحياة جـديرة بالبقاء ، واذا برجلين يرتديان القبعات المستديرة ومعاطف المطر ، ينقضان على من وراء الستار . وكانت هذه سقطة آرشى الوحيدة . كان يمكن أن تحصل لأى مخلوق . وأعتقد أن ممرضـة العنبر قد وشت بى ، فكثيرا ما قالت لى أنهـا متزمتة جدا ، ولذا أظنها فعلت ذلك . واذ ذاك خضعتُ للقـانون لحظـة ، وكنت أمثـل فى

---

* نوع من البيرة تصنعـه شركة باص وشركاه .

« قصة المدينتين » . فلما قلت لها ذلك قالت « أوه نعم سمعت عنها ... (الى بيلى) كانت سيدة ايرلندية . « قصة المدينتين » ... أليست هى عن سادوم وعاموره ؟ »

(جين تبتسم . بيلى وفوبيا كفا عن الاصغاء) .

آرشى : احدى السيدات فى الصالة كان يبدو عليها الليلة أن الحفلة تروقها جدا .

فوبيا : جين حدثت مشادة بينها وبين جراهام .

آرشى : صحيح ؟ أوه أنا آسف . كان يجب أن أسأل ، أليس كذلك ؟ انى آسف يا عزيزتى . أخشى أن تكون رأسى قد دارت (يتلفت حوله) أعتقد أننا جميعا كذلك . أتتم كذلك .

فوبيا : لقد فسخت خطبتها .

آرشى : أفعلت ذلك حقا ؟ حسنا ، كان يجب أن أعتقد أن الخطبة شيء ريفى نوعا ما بالنسبة للمثقفين أمثالك . سيكون لك موتوسيكل وسايدكار فى المرة القادمة .

فوبيا : أوه كف عن التفكه بها يا آرشى . كن عاقلا ؛ ألا ترى أنها مغمومة .

جين : لست مغمومة ، ولم أتخذ بعد قرارا فى أى شيء . وانما جئت لأراكم جميعا وأرى كيف حالكم لأننى اشتقت اليكم .

فوبيا : أحقا . هذا جميل جدا منك يا عزيزتى . انى أقدر هذا . أقدره حقا .

آرشى : انها تعلم أننى لا أتفكه بها .

فوبيا : أوه بودى أن أعلم ماذا سيحدث .

جين : لا تهتمى بشأنى . ألم تأتكم أخبار من ميك الصغير ؟

آرشى : لا ، ان صاحبنا ميك يستطيع أن يعنى بنفسه . انه ولد غير معقد ، هذا الانسان . أتوقع أن يكون باذلا جهدا خارقا . أرجو ذلك على أى حال . ما الذى حدث بينك وبين جراهام ؟

بيلى : لقد ذهبت ابنتك يوم الأحد الماضى الى هذا السيرك الذى فى ميدان ترافلجار ، من فضلك .

آرشى : أوه ، أحقا ؟ أأنت واحدة من أولئك الذين لا يحبون رئيس الوزراء ؟ أعتقد أننى أحببته جدا وذلك بعد أن سافر الى جزر الهند الغربية ليحمل نوويل كوارد على أن يكتب له مسرحية.

ومع هذا فلعل من هو من جيلى فقط يستطيع أن يفهم ذلك . هل يضايقك منه شىء ؟

فوبيا : أوه ، يا الهى بودى لو أعرف ما الذى سيحدث لنا .

آرشى : عندى نفس الشعور بالنسبة لذلك الكلب المريع الذى تحت السلم . انه يخرجنى عن صوابى كلما نظرت اليه . هناك ثلاثة أشياء تحدث هذا لى : الراهبات والقسس والكلاب.

فوبيا : أنا لا أحب أن يفرض على أن أعمل على الدوام . أعنى أنك محتاجة لقليل من الحياة قبل أن تنتهى كلها . انه ليذهب بكل بهجتها أن تعلمى أن عليك أن تعملى وتعملى حتى يحملوك الى القبر فى صندوق . ان هذا يناسبه هو ، فهو على ما يرام . مازالت عنده نساؤه ما دامت حياته باقية على أى وجه . ولكننى لا أريد أن أنتهى بأن يتولى دفنى غريب فى شارع قذر خانق صغير فى حى جيتسهد أو وست هارتلپول أو غيرهما من جحور موتى الأحياء .

جـــين : فوبيا ، أرجوك ألا تدخلى الغم على نفسك ، فلنستمتع ....

فوبيـــا : استمتع ؟ أو تحسبين أنى لا أريد أن أستمتع ! غاية ما فى الأمر أننى سئمت هذه العيشة القلقة المضنية ، وسئمت الناس من أمثاله .

(تبـــكى) .

آرشى : أتمنى ألا تبكى النساء . أتمنى هـــذا . حاولى أن تقولى لها شيئا ياچين .

جـــين : (ذاهبة الى فوبيا) لمـــاذا لاتستمتعين بحياتك ؟

فوبيـــا : كنت أتمنى أن أســـتطيع . انمـــا أتمنى أن أســـتطيع .

جـــين : (لفوبيا) هيا يا عزيزتى . ألا تريدين الذهاب للفراش ؟

فوبيـــا : بلى ، أظن ذلك يا عزيزتى اذا ســـمحت . أظن أننى تجاوزت حدى قليلا. آرشى يعرف طبيعتى. اننى لا أستطيع احتمال الكثـــير من الاثارة ، وأعتقد أننى ربما أكون متأثرة جدا برؤيتك ، فقد كانت مفاجأة سارة جدا . أو لعلى قلقة من

أجـل ميك بطريقة لا شـعورية ، فانى دائمة التفكير فى كل هذا القتال ...

آرشى : عليك بالنـوم قليـلا يا حبيبتى وسـتشعرين بالتحسن عندما تقومين .

فوبيـا : (تقف) وهـو كذلك يا عزيزى ، سـأذهب فالسـاعـة مـتأخرة على كل حال . كان ينبغى لأبيـك أن يكون فى الفـراش منذ ساعات ، سيكون غدا فى حالة سيئة . أجعله يذهب الى الفراش يا آرشى ، أرجوك .

آرشى : وهو كذلك . (لجين) اصعدى معها .

فوبيـا : (متوقفة) هل سـتأتى لتحيينى تحيـة الليل يا آرشى ؟

آرشى : نعم ، غاية الأمر أننى سأنهى احتفالى الصغير . انه عيد ذكراى ، لا تنسى .

فوبيـا : (تبتسم) انه مضحك .

(تخرج هى وجين) .

آرشى : (لبيلى) أتريد كأسا قبل أن تذهب للنوم ؟

بيـلى : لا ، شكرا . فقد أخذت الكفاية .

آرشى : هيا أيها العجوز الماكر (يصب كأسا) انى أعرف وجهك ، هذه هيئة الراغب فى التغنى بترنيمة .

بيلى : أتظن أننى لا أريد ؟

آرشى : أنا واثق كل الثقة انك تريد . هيا بنا نأخذ كأسا منعشا للقلب وبعدها فلنشرب ما بقى لديك من البيرة ثم تأو الى فراشك .

بيلى : وهو كذلك . سأغنى .

(يعتدل فى جلسته ويغنى) .

« الى الأمام أيها الجنود المسيحيون
السائرون وكأنما الى الحرب
وصليب اليسوع
سائر أمامكم
فيسوع السيد المملك
يحارب العدو
أماما فى المعركة ... »

(تعود جين الى الحجرة ويشتد التعب ببيلى فينقطع عن الغناء ويتحرك نحو حجرته) .

بيــلى : ليلة سعيدة يا چين . لقد سرتنى رؤيتك .سيكون لنا حديث غدا .

جــين : نعم وستأخذنى الى النادى . تذكر .

بيــلى : ليلة سعيدة يا ولدى .

آرثى : ليلة سعيدة يا أبى .

(يخرج بيــلى) .

جــين : أبى ....

آرثى : نعم

جــين : انك تسِرُ شيئا فى نفسك .

آرثى : انك لا يفوتك شىء . أليس كذلك ؟ الملاحظة... هى أساس كل فن .

جــين : ما هو ؟ انى لأحس طــول هــذا اليوم بسقم غريب فى معدتى كما لو كان شىء ما سيحدث . أنت تعرف هذا الشعور .

آرثى : نعم أعرف هــذا الشعور . لقــد وقع ميك فى الأسر . ويبدو ألا أحد هنا يعلم بذلك . وقــد نشر ذلك فى الصحف ، ولم يكن هناك محــل للافضاء بالنبأ الليلة . وان غدا لقريب (يفتــح

البرقية) انهم يحصلون عادة على هذه الأشياء قبل الناس الذين يعنيهم الأمر حقا . لقد عرفت ماذا يمكن أن تكون هـذه (يناولها البرقيـة ويتناول الصحيفة) يبدو أنه صرع عددا كبيرا من الخنازير برصاصه ، أليس كذلك ؟ وهنـا صورة لصاحبك كذلك ، هـذا الذى يخرجك عن صوابك ، انه يبدو جادا هذه المرة ، لعـله قلق على مصير ميك الصغير .

جـين : أظن أننى سأتناول شيئا من هذا .

(يدفع كأسها نحوها) .

آرشى : حسنا ، ميـك لا يجب أن نقطـع احتفالنـا . سـنشرب نخب ميـك ، ولنضرع الى الله أن يسلم . ميك ومحصل ضريبة الدخل . بالنسبة لك هم رؤساء الوزارات ، أما بالنسبة لى فهى الكلاب . الراهبات والقسس والكلاب . ألم أخبرك أبدا بأعظم تحية قدمتها لنفسى ، أعظم تحية اكتنزتها على الدوام ؟ كنت أسير على طول الجبهة فى مكان ما ــ يبدو كما لو كان هنا ــ وفى يوم ما ، أوه ، أظنه منـذ خمس وعشرين سنة ، كنت فى عز شبابى . نعم ، كنت أسـير على طول الجبهة لأقابل ما أظن أننا كنا نسميه

شيئا من الفرقعة ، أو لعله كان شيئا من الزغب المتطاير . لا ، كان هــذا أولاً . على أى حال أذكر اننى استمتعت به فيما بعد . ولكن المهم أننى كنت أسير على طول الجبهة من تلقاء نفسى كليةً ، غــير ملق بالا الى شىء (ســكوت) فأقبلت نحوى راهبتان (سكوت) راهبتان ...

(يقطع الحديث وقد بدأ عليــه التعب والشيخوخة . ينظــر الى جين ويدفــع الزجاجة نحوهــا) .

آرشى : كلمينى .

ســتار

نهــاية الفصل الأول

اســتراحة

(٦)

بيلى وفوبيا وچين.فوبيا مختنقةالوجه من الشراب

بيــلى : أنا أعلم أنهــم لا يستطيعــون منعــه . انهــم لا يجرؤون .

فوبيــا : يعود الى البيت خلال يومين .... لا أستطيع أن أصدق هذا .

بيــلى : انهم لا يجرؤون ، حتى فى هذه الأيام ... انهم حفنة من المــاكرين . ما زلت أذكرهم من قبل الحرب . كنت فى تلك الفرقة المسرحية اذا كنت تذكرين يا فوبيا ...

فوبيــا : ما الذى يريدون أن يحتفظوا بولد كهــذا من أجله ؟ هــذا ما ظللت أسائل نفسى عنــه . انه لا ينفعهــم بأى شىء . لا ينفعهــم بأى شىء ، أليس كذلك ؟

بيــلى : حفنــة من الأوغــاد المتنطعين . كنت آنزل فى الامباسادور كما تعلمين ، وأعطونى صــندوقا من سيجار روميو وجولييت .

جــين : (محوطــة بكوم من الصحف) حسنا ، لقــد اشتهر اسم رايس مرة أخرى .

بيــلى : كان طوله هكذا . لم أحصل على ســيجار مثله منذ سنين .

فوبيــا : انه يحب السيجار . أنا أشترى هــذه السجاير أحيانا . ليست الا شيئا رخيصا ، ولكن هــذا لا يهمه ، أليس كذلك ؟

بيــلى : بالطبع لا يهمنى . لقد أعطتنى چينى بعضا منها ، أليس كذلك . ماذا بك ؟

فوييــا : أوه ، نعم . لقد نسيت .

بيــلى : لك عقل كالغربال القذر !!

فوييــا : كنت مغفلة على الدوام فى المدرسة . اننى أفكر فى آرشى . لكم أخشى أن يخيب ظنــه ، وأن يســير كل شىء على غير ما يرام ، وانهــم لن يتركوا ميك يعود آخر الأمر .

بيــلى : لا تؤاخذينى يا فوييــا ، انك تتحــدثين بألعن تفاهة قضى على أن أجلس وأصغى اليها طول حياتى .

جــين : لقد أعطوا تعهدا رسميا .

بيــلى : تعهد رسمى ، آه يا ظهــرى ... لو حسبت أن مستقبل هذا الولد متوقف على تعهدهم الرسمى لاستطعنا أن نقول لهم « شكرا جزيلا وليلتكم سعيدة » .

فوييــا : (والصحيفة فى حجرها) لدينا طائرة محجوزة متأهبة للعودة به الى الوطن .

بيـــلى : «تعهد رسمي» ... ألفاظ السياسيين بالضبط... انها ماكانت لتعنى شيئا لو صدرت من واحد منا.

جـــين : (تقرأ) « يعيدونه للوطن » ... فى خلال ساعات قليلة لا بد أن يكون الجاويش رايس طائرا نحو الوطن فى طائرة خاصة من طراز داكوتا .

بيـــلى : انهم يعلمون جيدا أنهم لا يجرؤون على فعـــل شيء غير هذا .

جـــين : سيكون لنا بطل من أنفسنا ، تستطيع أن ترى أن ....

بيـــلى : أي واحد منا كان سيفعل نفس الشيء . فليس فى أي واحد منا أى عيب ، ولم يكن فينا عيب أبدا . انكم لا تستطيعون بلوغ القمة جميعا ، ولا تستطيعون أن تصنعوا حظوظكم . أما أنا فكنت محظـــوظا على الـــدوام ، على الدوام . ولاحظوا أننى كنت طبيبا أيضا . هذا السفير ، وكان اسمه ســـير كذا بيرســـون ، لطيف ومن أحسن طراز على الاطلاق ، قال لى : اننى فنانه المفضل ، صارفا النظر عن جورج روبى .

فوبيـــا : أى خير يجنونه من التمسك بغلام . انه ليس الا غلاما .

جين : هذه الصحيفة تقول ...

بيلى : انه محظوظ . كنت محظوظا على الدوام ، ولاحظوا اننى كنت طيبا أيضا .

جين : (تقرأ) « صرح الملازم بيرسون من لايسستر الذى كان مع الجاويش رايس قبل وقوعه فى الأسر ببضع دقائق بأنه لا بد أن يكون قد قتل سبعة من المهاجمين على الأقل » .

بيلى : قلت : ان اسمه بيرسون ...

جين : وقال بيرسون « انه لا بد أن تكون ذخيرته قد نفدت قبل أن يحاط به . لأن رايس الصغير ليس من الطراز الذى يستسلم » .

(سكوت) .

فوبيا : أنا لا أود أن أخيب أمل آرشى ، هذا كل ما فى الأمر وفوق كل شىء . لقد لقى ما كفاه من خيبات وما أظنه سيعتاد عليها أبدا .

بيلى : أنت ترين أنه بعد يومين اثنين سيكون ميك جالسا هنا يحدثنا عن الأمر .

فوبيا : أذكر أن أمى وعدتنا مرة نحن الأطفال أن

تأخذنا الى خيال الظل ، ولكن حدث شيء ما فلم تستطع أخذنا . لا أعرف ماذا كان ، ولعله لم يكن لديها نقود ، وكان دخول الصالة وقتها بستة بنسات . مسكينة أمي العجوزة ... لقد أخذتنا بعد ذلك ، ولكن لم يبد لى أنه نفس الشيء . فقد منيت بخيبة كبيرة ، وظللت أفكر فى خيال الظل طوال بضعة أسابيع . لا ينبغى لك أن تبنى فى الهواء فستصاب بالخيبة الحقة على الدوام . وهذا مصدر متاعب آرشى . انه دائما يبنى كل شيء فى الهواء . ولا يتحقق له شيء أبدا .

بيلى : انه أحمق .

فوبيا : انه أطيب مما ينبغى لهم ، وهذا أساس متاعبه . فالناس لا يقدرونك حق قدرك . فلنفرغ هذه ، أليس كذلك ؟ سيحضر آرشى بعضا منها عند عودته .

بيلى : لقد انتهى الأمر . قلت له منذ سنين ، ولكنه لا يسمع ، انه لا يصغى لأحد .

فوبيا : انك لا تستطيع أن تخطئ لآرشى طريقه . حقا ، كل ما يطلبونه هو الاستمتاع الرخيص (لچين)

هيا قاسمينى هذا ... ان علينا جميعـا أن ... ما هى الكلمة ؟

بيــلى : لا أدرى عمَّ تتكلمين .

جــين : نهادن ؟

فوبيــا : انها تعلم ما أقصد . بالضبط يا عزيزتى . أنت تثابرين وتثابرين وتبذلين أقصى جهدك ثم يأتى وقت لا تستطيعين فيه مزيدا من المثابرة . انه نفاذ الجهد ... أو هذا ما أظنه . انه ليس الا التعقل . (لچين) هل قال لك أى شىء ؟

جــين : عن ماذا ؟

فوبيــا : أوه ، عن أى شىء . انه لا يقول لى شيئا أبدا هذه الأيام ، كل ما يقوله لى ألا أشغل بالى ثم لا يقول شيئا . لقد أخبرنى فرانك أن الفرقة لم تقبض الا نصف أجر ليلة السبت ، وهو يعتقد أن عمال المناظر لا بد أنهم تشاجروا معه لأن ...

بيــلى : لقد قال لى انه سيحضر لى بعض السجاير . كان فى استطاعتى شراؤها بنفسى خلال هذا الوقت . أظن أنه فى الروكليف .

فوييـــا : كلما سمعت طرقا على الباب لم أجرؤ على الرد خشية أن أجد شرطيا واقفا وراءه وبيـــده أمر قبض آخر .

جــين : (تقدم السجاير لبيلى) خذ واحدة من هذه .

بيـــلى : سوق اللحم العارى القذر .

فوييـــا : ليس شعورا طيبا أن تخشى الرد على الباب .

بيـــلى : لسوف تجدين وراء الباب شرطيا حقيقيا ....

فوييـــا : (متعبـــة لا متحـــدية) أوه ، لا تقاطعنى كلما تحدثت الى چين .

بيـــلى : (لچين بأدب) شـــكرا يا عزيزتى . (يتنـــاول صحيفته) .

فوييـــا : لقد أغضبته الآن .

جـــين : لا لم تغضبيه وانمـــا هو يقـــرأ ، أليس كذلك يا جدى ؟

بيـــلى : أوم ؟

فوييـــا : أوه ، على كل حـــال ، ليس حسنا أن نقلق ، أليس كذلك ؟ تقول الصحف ان ميك عائد الى

الوطن ، ولا بد أنهم عليمون بهذه الأمور وهذا هو المهم حقا . اليك قليلا من هذا يا عزيزى .

بيـلى : لا ، شكرا .

فوييـا : (لچين) املئى له كأسا . هناك واحـد . أوه يا أبى ، انه يبالغ فى كل شىء ، ألست كذلك ؟ انه يبالغ فى كل شىء ولكنه على حق كما تعلمين. انه على حق فيما يتعلق بآرشى . ما من عدو له فى العـالم ألحـق به من الضرر مثلمـا ألحق بنفسه .

جـين : هاك يا جدى .

بيـلى : شكرا . سآخذه فيما بعد .

جـين : لا تأخذه فيما بعـد . اشربه الآن فهـذا وقت الاحتفال . هيا اذن ولنشرب نخب ميك .

فوييـا : نعم فما ينبغى لنا أن نجلس هنا ونترك الحزن يتسرب الى نفوسنا . لقد كاد شرابنا أن ينفد، أليس كذلك ؟ أرجو ألا يطول مقام آرشى فى ذلك المكان .

جـين : لقد ذهب فرانك معه ، ولن يطول غيابه .

فوبيا : أوه ، سيعمل فرانك على ألا يعود الى البيت جد متأخر . فرانك ولد عاقل ... انه عاقل أحيانا على كل حال . (لجين) أظن أنك أنت العاقلة الوحيدة فينا جميعا .

جين : جدى لا يعتقد هذا ، أتعتقده ؟

بيلى : ما هى الا حمقاء مثل بقيتكم .

فوبيا : انه يضحك على نفسه . لديه دائما فكرة ضخمة يكسب بها المال . منذ فترة ماضية كانت فكرة تقليد النساء . وكنا سنشكل فرقة ، هذا ما قاله آرشى على أى حال . غير أنه بمجرد أن بدأ آرشى فيها ذهبت كلها هباء . والآن الروك آندرول . أوه نعم ، هذا ما تحبه النساء . انهن يسأمنه ويترددن هنا بضع مرات وهذا كل ما هناك .

بيلى : لماذا لا تكفين عن صخبك اللعين ؟

فوبيا : انه لا يحب أن أتحدث فى الأمر ، كما لو كانت تجهل ما يجرى هنا طول الوقت .

بيلى : ومع هذا فليس من سبب يدعو الى التحدث فيه .

فوبيـا : انها ليست بلهاء ، أأنت كذلك ياعزيزتى ؟

بيـلى : لا أحب أن أسمع شيئا عنه ، ولا أظنها تريد .

فوبيـا : وهو كذلك . وهو كذلك .

بيـلى : لقد دَرَجتْ على مصاحبة النـاس المهذبين . انها لا تود أن تسمع عن متاعبك .

فوبيـا : لا بالطبع ، انها لا تريد .

بيـلى : فليكن اذن ... ان عيبكم أيهـا النـاس أنكم لا تعرفون كيف تتصرفون على الوجه الصحيح، هذا عيبكم . اعطِ الفتاة فرصة فلديها حياتهـا الخاصة لتحياها .

فوبيـا : كل ما أردت أن أقوله لها ....

بيـلى : وأنا أقول لك لا . ما من شيء تستطيعين أنت أن تقوليه لها . ولذا كفى عن صخبك ...

جـين : جدى ، أرجوك ...

بيـلى : لمـاذا لا تعودين الى لندن لأصدقائك ؟

جـين : فلنترك الجدل ...

بيـلى : اننا لا نصلح لك ...

جـــين : ما أظن أنني أريد العودة الى لندن ...

فوييـــا : انما كنت أتحدث اليها عن آرشي . أنت لاتودين السفر ، أليس كذلك يا عزيزتي ؟

جـــين : بالطبع لا أود ...

فوييـــا : انما أردت أن أقول في معرض الحديث العادى أن آرشي لم يكن محظوظاً ، هذا كل مافي الأمر.

جـــين : هيّـــا ... (تضع زجاجـــة صـــغيرة من الچن على المـــائدة) .

فوييـــا : واذا كنت قد ذكرت النســـاء فلمجرد أنه كان نفس الشيء معهن ، وما اهتممت لهذا أبدا في كثير ، لم يكن يعنيني أبدا بقدر كبير حتى أيام شبابي . ومع ذلك فانني أظن الرجال على خلاف ذلك ، فانه أكثر أهميـــة عندهم . أوه ، أنظر ماذا فعَلَت !!

جـــين : أعتقدت أن الأفضل أن أحضر شـــيئا منه اذا ما تأخر أبى .

بيـــلى : ماذا تظنين انك مفروض أن تكوني ...مليونيرة؟

جـــين : ولكنك لن تشربي شيئا حتى تتنـــاولي بعض

الطعام ، فأنت لم تأخذى غير الشاى والسجاير منذ أيام .

فوييـــا : لا أستطيع أكل أى شىء يا عزيزتى ، شرفاً .

جـــين : سأحضر لك شيئا .

فوييـــا : لا ، لا أستطيع ، لا أستطيع ... وفرّيه .

جـــين : (تتحرك) لن أناقش ...

فوييـــا : چين ، لقد رجوتك ... لا أستطيع . لا أريد شـــيئا .

جـــين : ولكن على الناس أن يأكلوا يا عزيزتى . اذا لم تتناولى شيئا ...

فوييـــا : (ضحكة خفيفـــة) تقول ان على النـــاس أن يأكلوا . هذه نكتة حلوة .

جـــين : انك لاتستطيعين أن تستمرى على هذا ياعزيزتى.

(ينهض بيلى وهو يهمهم بأغنية الصخرة ويذهب نحو اليسار) .

فوييـــا : على الناس أن يأكلوا . هذا ما قالته فهل سمعته؟ أين ذهب ؟

جـــين : ذهب الى المطبخ .

فوييـــا : ليس هذا هو كل ما عليهم أن يفعلوه . ان عليهم أن يفعلوا الكثير من الأشـــياء التى ليس لديك حتى مجرد العلم بها ، والتى لا علاقة لها بأن تكونى متعلمـــة أو ما أشـــبه ذلك . ولمـــاذا تحيطين بها ؟

جـــين : أعلم يا حبيبتى أن الظروف أصبحت صعبة ، ولكن كونى عاقلة ، عليك أن تثابرى .

فوييـــا : لا تطلبى منى أن أكون عاقلة ياچين .

جـــين : آسفة يا عزيزتى . لم أقصد أن ...

فوييـــا : لا تطلبى منى أن أكون عاقلة . انك فتاة حلوة يا چين وأنا جد مغرمة بك . ولكنك حتى لست ابنتى . لن أقبل هـــذا من ميك أو فرانك مع أنهما ولداى .

جـــين : وهو كذلك ، فلتنسيها . لم نشرب نخب ميك حتى الآن .

فوييـــا : لا ... لا تبالغى فى الافتراضات .

جـــين : فوييا ، أرجوك ... أنا ...

فوييـــا : لا تبالغى فى الافتراضات . ما الذى يفعله هناك ؟

جـين : لعله يحضر لنفسه شيئا يأكله على ما أعتقد .

فوبيـا : لا أريده أن يوقع الفوضى هناك . انه يعـلم أنى لاأحب أن يذهب الىهناك . انه يترك كل شىء فى حالة فوضى كبيرة .

جـين : هيا ، خذى هذا .

فوبيـا : لماذا لم يعد آرشى ؟ أليس المفروض أن يعود الى هنا نيحتفل بعد ما سمع أن ابنه بخير وأنه فى طريقه الى الوطن ؟ اننى لا أفهمكم ... أيهـا الناس ...

جـين : هيا يافوبيا ، لاتدعينا ندخل فى شجار ، ومن أجل لاشىء ... هذه حماقة .

فوبيـا : انها ليست حماقة . ومع هذا من الذى قال اننا فى شجار . كل ما قلته هو أننى لست جائعـة ، فثرت على .

جـين : لم أثر عليك .

فوبيـا : أيها الناس ... انكم جميعا سواء .

جـين : صدقينى يا فوبيا . أنا لم ....

فوبيـا : لا أستطيع أن آكل لأننى أحس بالغثيان .

جـــين : حسنا ، انتهى الأمر اذن .

فوبيـــا : أنت لا تعرفين ما هى المسألة . أنت لا تعرفين ما هى المسألة لأننا حاولنا أن نفعل بك أقصى ما نستطيع . أوه ، لقد حاول آرشى أن يفعل بك أقصى ما يستطيع ولو أن ذلك لم يوصـــل الى الكثير ، لا لأنك لم تكونى فتـــاة طيبة ، فلقد عملت بكل جهدك واستحققت النتيجـــة ، حاولت على الدوام ونلت الثمرة وهى أكثر مما حصل عليه أى منا يا عزيزتى . فأنت الوحيـــدة التى نجحت بيننا . أنت وميك الصغير والرجل العجوز طبعا . لقد نالها . لست أعنى أن لهـــا فائدة عنده الآن . فما هو الا قطعة من المـــاضى على ما أعتقد . ومع هذا فلأن يكون المرء قطعة من المـــاضى خير من ألا يكون أبدا . وكذلك ابنه الآخر ... بيل الكبير ... أخـــو آرشى . لا تظنى أنه أصبح ماضيا ، فهو شخصية كبيرة حقا الآن . انه شخصية كبيرة حقا . لا شائبة على الأخ بيل .

جـــين : (محاولة تغيير الحديث) انه محـــام ... ولذا فأنت تحبينه كثيرا . انه يشـــبه ممثل السينما

ذلك الذى يظهر دائما بشـــعر مستعار ورداء فى كل ...

فوبيـــا : أنا أحبه لأنه سيد مهذب . انه مختلف عن أبيك حتى وان كانا قد ذهبـــا الى نفس المدرســـة وما الى ذلك . أحبه للطريقة التى يعاملنى بها . انه يتحدث الى فى لطف . والطريقة التى ينادينى بهـــا « فوبيـــا » ، يجب أن تسمعى طريقته فى مناداتى « فوبيا » .

جـــين : لم أره غير مرتين .

فوبيـــا : نعم رأيته بالطبع . لم يوافق على الطريقة التى سار عليها آرشى . لم يوافق عليها أبدا . كان فيما مضى يحضر أحيانا لزيارتنـــا وكان دائما يضع فى يدى ورقتين من ذوات الخمسة جنيهات قبل أن يخرج قائلا « لا تقولى كلمة لآرشى » وكنت أحار كيف أجيبـــه . كنا نسكن دوما فى بيوت حقيرة ، ولم أكن أحبه أن يجىء . كنت أشـــعر بالضـــعة . لم يستطـــع أبدا أن يحضر زوجته ولم أعرف أبدا ماذا أقول . وبعد هذا تشـــاجر هو وآرشى حـــول شىء كان آرشى يفعله ، اما أضاع ماله أو فقد عمله . وأذكر أنه

جاءنا مرة وكنت أنا وآرشى لا نملك حبة ، كنا نعيش على قطع من لحم الخنزير نشتريهـا ببنس من الجزار ، وعلى ما كنا نحصل عليـه اذ ذاك من المحكمة (تخطىء فى نطقها) وكنت والأولاد تعيشون مع الرجل الكبير وقتهـا . كان آرشى يأبى أن يأخذ نقودا من أبيـه إذ ذاك ... ربما بسبب غيرة المهنـة ، لا أدرى . على أى حال علم بيل أن آرشى وقع فى شـدة مرة أخرى لا أذكر ماذا كانت ، ولكنه كان أمرا خطيرا هذه المرة على ما أعتقـد ، اذ حاول أن يصرف شيكا مزورا أو شيئا من هذا القبيل . أنا أسلم أن آرشى لم يكن ليفعل مثل هـذا لأنه لم يرتكب طول حياته عمـلا منافيا للأمانة من هذا النوع . مهما تكن بقية أعماله . لا بد أنه كان سكران . على أى حال جاء بيل الكبير، وكنا نعيش فى بركستون وقتئذ ، وعبث الأولاد الذين كانوا فى الشارع عبثا مريعـا بسيارته ، فما كانوا يرون فى ذلك الشـارع كثـيرا من السيارات ، اللهم الا سيارة الطبيب . لم ينطق بكلمة . عندما ذهبنا الى الباب ورأيت ماصنعوه بها تسمرت قدماى ، وشعرت بأشد الخجـل

وانفجرت باكيــة . فربت على ذراعى بطريقته وقال لى « أنا آسف جدا يا فوييا . آســفه حقــا . وأخشى أن تظل الأمــور كذلك على الدوام » . على أى حال لقد أنقــذ آرشى من الورطة التى كان فيها ، وهذا ما كان . ليست النقود ولا مساعدته لآرشى ــ مع امتنانى لهذا بالطبع ــ هى المهمة ، بل الطريقــة الهــادئة المهذبة التى كلمنى بها . والطريقة التى ربت بها على ذراعى .

جـــين : نعم ليس هذا بمستغرب منه .

فوييــا : ماذا تقصدين ... ماذا تقصدين بهذه الملاحظة ؟

جـــين : أوه لاشىء ياعزيزتى . فلنكف عن الكلام فيها...

فوييــا : ماذا تقصدين بهذه الملاحظة ؟

جـــين : أوه ، مجرد أننى أستطيع أن أرى الأخ بيــل يربت على ذراعك ، ويضع تلك الجنيهـــات العشرة فى يدك ، ثم يذهب فى سيارته ليتنــاول العشاء فى ناديه . هذا كل ما هناك يافوييــا . والآن فلنكف عن الكلام فى الأمر نهائيا .

فوبيـــا : أتقصدين أنه لم يكن الا راثيا لحالى ، أليس كذلك ؟

جـــين : لا ، لا أقصد هذا .

فوبيـــا : هيا ، قوليها ... تقصدين أنه لم يكن الا راثيا لحالى أليس كذلك ؟

جـــين : لم أقل هذا ، ولم أقصد هذا . والآن هيا ...

(يدخل آرشى وفرانك . فرانك ولــد شــاحب خجول فى التاسعة عشرة تقريبــا وقد سمح لنفســـه أن يقوم بدور مرافق آرشي لمــا يبـــدو فى هـــذا من دفء ومن علاقة معقولـــة تناسب كليهمـــا . وهو عاطفى مملوء بالحنان الذى يفيض بسهولة وهو صغير ولعله سوف يظل كذلك) .

فوبيـــا : أريد أن أعلم ماذا كنت تقصدين .

آرشى : يا عزيزتى ، لا يستطيع النـــاس أن يقولوا لك ماذا يقصدون . كان يجب أن تعرفى ذلك الآن .

فوبيـــا : أقفل فمك لحظة يا آرشى ... أنا أكلم چين وهى تعلم ما أقصد . أنت تعلمين ما أقصد ، أليس كذلك ؟

آرشى : هل تعلمين ما تقصد ؟ أرجو من الله أن أعلم .

(لفرانك) أرى أنه كان خيرا لنا أن نبقى حيث كنـــا .

فوبيـــا : هل أخبرك بشيء ؟

جـــين : فوبيا ، ماذا أنت فاعلة ؟

فوبيـــا : هل أقول ؟

جـــين : كل ما فى الأمر اننى أعرف بالضبط كيف ربت عمى بيل على ذراعك ... بنفس الطريقـــة التى كان يعامل بهـــا الجنود فى الكريستماس عندما كان فى الجيش . وكم هو ديمقـــراطى ، وكم هو لطيف ، وكم هو انجليزى .

آرشى : أوه ، بيل لا غبـــار عليـــه . وانما هو لا يفهم أمثالنا من الناس ، وهذا كل ما هنالك . وأكثر من هذا أنه لايريد . ولا لوم عليه فى الحقيقة .

فوبيـــا : (لچين) انك لا تحبينه ، أليس كذلك ؟ أنا أعرف أنك لا تحبينه .

آرشى : كمثـــل هذا . أوه ان أخى بيل لايستطيع أن يفهم هذا أبدا ، سيتضايق بشكل مريع ، أليس كذلك ؟ ناولنى هذا الحامل يا فرنكى يا حبيبى.

فوبيــــا : انك لاتسطيع آن تحبه ،فانت مدين له بالكثير .

آرشى : أرانى مضطرا لأن أقول ان هــذا سبب كاف جدا لعدم حب أى انسان .

فوبيــــا : انه شىء لن يمكن أن تكونه .

آرشى : وأنا شىء لن يمكن أن يكونه ... بيــل الطيب الكبير . قد يكون ناجحا ولكنــه ليس من النوع الردىء . هــل تعلمين أن أخى بيــل له زوجة واحدة ، ولم تكن له علاقات غرامية ، وله ثلاثة أطفال لطاف موهوبون ، حصل اثنان منهم على درجات مرتبة الشرف فى كامبريدج وانهم جميعا حققوا ما يسميه الناس زيجــات ناجحة جدا .

فرانك : أى شىء على وجه الأرض هذا الذى تتحدثون فيه جميعا . هالوچين حبيبتى . ظننت أننا سنقيم مأدبة .

(يلقى ذراعيه حولها ويقبلها) .

آرشى : هذا حق جدا . لقد قرأتها فى صحيفة التلجراف اليوم . لقد مللت من طــول ما قرأت عن ميك الصغير ، وهناك فى الوسط ...

جين : (بتطلع) لا تقل انك قرأت ....

آرشى : بالطبع قرأتها ، وهل من وسيلة أخرى لأعرف أن أقاربى تزوجوا أو توفوا أو أنجبوا أولادا .

فرانك : كما كنت أقول ...

فرانك : قبل أن تقاطع بهذه الغلظة .

(يقبل جين بحنان مرة أخرى) .

آرشى : نعم قبل ذلك . سونيا الصغيرة تزوجت .

جين : ممن ؟

آرشى : أوه ، ابن أحد رجال الصناعة الكابتن « تشارلى رد الفعل الخلفى المزدوج ــ شرطه ــ تحميل الكسور ــ جور ، من ألم لودج ، شروكيسبرى ــ جلوسستر » . أين جميع الأكواب بالله عليكم ؟ يالبيل الطيب العجوز ، لقد حصل على كل ما يبتغيه الآن بما فى ذلك الكابتن « تشارلى رد الفعل الخلفى المزدوج جور » .

فوبيا : آرشى ، انى أكلم جين .

آرشى : نعم ، أظن أن هذا ما كنت تفعلين . وانما لخصت الموقف فى لمحة .

فوبيـــا : أوه ، من السهل على النـــاس من أمثالك أن يمزحوا . لقد تركت المدرســـة وعمرى اثنـــا عشر عاما .

آرشى : وحق المسيح ، لو قالت لى هـــذا مرة أخرى فسأصعد الى السطح وأصرخ . لم أفعل هذا أبدا من قبل .

فوبيـــا : كانت المصروفات ست بنســـات فى الأســـبوع اذ ذاك .

فرانك : اتركها وشأنهـــا يا ابن الحرام العجوز . هيـــا يا ماما ، سنقيم مأدبة .

فوبيـــا : انى أكلم چين .

آرشى : نعم ، لقد دخلنا على هذا . ولكن لمـــاذا لانكلم چين جميعا . اننا لانراها كثـــيرا . فرانك ... كلم چين .

فرانك : بابـــا ....

(يومىء نحو فوبيا مبتئسا اذ يراهـــا على تلك الحـــال ولكن آرشى الذى جـــاء متأهبا لأن يكون مرحا قد تعب وبدأ يتخلى عن الموقف) .

آرشى : فلنشرب كأســـا أولا . اذا أريد لى أن أكون

دبلوماسيا جدا أو كيسا جدا فلابد أن أشرب الكثير أولا .

فوبيــا : كان علينا أن ندفع ستة بنسات فى الأسبوع ، وفى معظم الأسابيع لم تكن أمى تجدها ...

آرشى : هذه دولة احسان يا حبيبة قلبى . ليس فيهـا محتاج ولا من ليس معه . الكل مكفولون .

فوبيــا : كنت خارجة أكنس حجرة طعام ا ...

آرشى : كلنا على ما يرام . ميك الصغير على ما يرام ، وبيل على ما يرام . انه لم يترك نفسه يدخــل السجن على يد حفنة من الخنــازير . وفرانك على ما يرام ... لن يوقد الغلايات بعد هذا ... أليس كذلك يا ولد ؟

فرانك : أريد أن تسكتا كلاكما .

آرشى : وچين على مايرام . ستتصالح مع جراهام وتنسى حماقة ميدان ترافلجار ورؤساء الوزارات الذين يشبهون الكلاب تحت الدَرَج . اليك هــذا يا عزيزتى . (يقدم كأسا لفوبيا) .

فوبيــا : أنت لاتفهم ....

آرشى : بل أعلم . كانت فوبيا تكنس حجرة طعام خمسمائة طفل وهى فى سن الثانية عشرة . أليس كذلك ؟

فوبيا : أوه ....

ارشى : أليس كذلك ؟ هل عند أى واحد منكم فكرة كم مرة حكت لى عن هؤلاء الخمسمائة طفل وعن حجرة الطعام هذه .

فرانك : أوه . اسكت .

آرشى : أجل يابنى . سأسكت . ناول هذا لجين . تبدو كما لو كانت قادرة على تناوله .

(يقوم فيعطى كأسا لجين ويظل واقفا بجوار الكرسى الذى عند الباب الأيسر) .

جين : أقدر .

فرانك : كنت غائبة عنا زمنا طويلا . فكل ليلة هى ليلة احتفال .

آرشى : أو تدرين لماذا ؟ أتدرين لماذا ؟ لأننا موتى مكدودون مضيعون . نحن سكيرون مجانين . نحن حمقى ، نحن تافهون ، كل مجموعتنا المحترقة . نعم فان لنا مشاكل لم يسمع بها

أحد أبدا . نحن شخصيات فى مسرحية لا يصدقها أحد . نحن شىء يتندر به الناس لأننا أبعد ما نكون عن الحياة اليومية العادية للبشر . وليس فى هذا ما يبعث على المتعة بل هو باعث على الملل لسبب بسيط هو أننا لسنا مثل أى آدمى عاش على وجه الأرض . نحن لا نماشى أى شىء . نحن لا نوفق أبدا فى أى شىء . نحن عوامل ضيق لا نفعل شيئا مما يثير اهتمام الخالق القدير . نحاول طول الوقت أن نسترعى انتباه انسان ما لمشاكلنا القذرة الحقيرة غير المعقولة التافهة . مثل هذا الشىء المسكين الكريه العتيق الذى هناك . أنظرى اليها . ماذا تستطيع أن تفعله مع انسان مثلك ؟ انسان ذى ثقافة وفلسفة . لقد أفقدتها الخمر صوابها وبدأ عقلها الغائب المتخلف الجامد يعدو لأن مجرى دمها ملىء بالكحول الذى لا أملك أن أقدمه لها . وسوف تفرض علينا أن نصغى لكل نوع من التفاهات الممجوجة التى سمعناها مئات المرات من قبل . انها تزحف نحو الشيخوخة فهى قلقة عمن سيتكفل بها حين تعجز عن العمل ، وهى خائفة من أن تنتهى الى صندوق طويل فى مدفن

شـــخص غريب فى جيتسـهد أو لعلهـا وست هارتلبول ؟

فوبيـــا : عم يتكلم ؟

آرشى : ستقول لك ان أخى الكبـير بيـل دفع جميع نفقات تعليمك . هــذا ما تريد أن تقوله لك يا چين ، وأن المنحة الدراسية لم تتكفل بالأشياء ذات الأهمية الحقيقيــة كالكتب والانتقـالات والملابس وسائر البقية . كل هذا دفعه بيل لكم جميعـا . وفرانك يعلم هــذا ، أليس كذلك يافرانك ؟ آسف يافوبيا . لقد أحرقت حكايتك . ان آرشى العجوز يستطيع أن يحرق كل ما فى جعبة أى مهرج من الحكايات ان شاء .

فوبيـــا : انها لا تعلم شـــيئا عن ميك أو عنك أو عنى . أعرف أنها لا تعلم .

آرشى : سوف تكتشفه . كلنا نكتشف هذه الأشـياء بمرور الوقت (لفرانك وچين) لقد تعبت وأشرفت على الشيخوخـة . تعبت ، وتعبت منى . لم يمنحها بشر طول حياتها قدر بنسين من الذخـر اللهم الا شخصها التافه الذى لا تستطيع تقديم

أى شىء غيره لهذا العالم . كل ما أعطى لها هو أنا ، ويالله ، لقد تعبت من ذلك !! أليس كذلك يا حبيبتى ؟ ألم تتعبى من ذلك ؟ .

فوبيـــا : (بعنف) لقد حاولت أن أصنع شيئا من نفسى. حاولت . حاولت يقينا . لم أكن على كثير من جمال المنظر ، ولكننى جعلت نفسى ما كنت . كنت طفلا عاديا ... لا لم أكن . لم أكن حتى هذا . كنت أكأب طفل قذر رأيته فى حيـــاتك . لم يقع بصرك أبدا على أحد أشد قبحـــا مما كنت ، ولكننى صنعت شيئا من نفسى . حاولت أن أصنع شيئا . جعلته يريدنى على كل حال .

فرانك : كلكم تتصـــايحون !! من فضلكم ، فليتكلم أحدكم بهدوء مرة واحدة . ســيكون هؤلاء البولنديون الأقذار هنـــا فورا . فلنتعـــارك . يبدو أننا سنتعارك على أى وجه . ولكن ألا يمكن أن نتعارك فى هدوء من فضلكم !!

آرشى : كان ذلك منذ زمن بعيد . انهم يعلمون أنه كان من زمن بعيد . (لفرانك) أرجو أن تكف عن الصـياح ، انى لا أستطيع أن أسمع صـوت

صراخي . غن لنا احدى أغنياتك . هيا أيها الولد اللطيف . أين الرجل العجوز ؟

جين : فى المطبخ ؟

فرانك : بيلى ، تعال هنا . ماذا يفعل هناك ؟ شىء سرقته من محل الكامبريدج ؟ ألم تجده أبدا على منضدة المطبخ ، كقطعة من اللحم على (قورمة) أو تقطيع شرائح من فخذ الخنزير . (لجين) ألست راغبة فى العودة الى جراهام ؟

فوبيا : فرانك ، انه سيحضر احدى النساء ، أليس كذلك ؟ سيحضرها هنا ، أليس كذلك ؟

آرشى : اتركها وشأنها يا بنى .

(يجلس الى اليسار على الكنبة المجاورة للباب الأيمن) .

فوبيا : ألا تعلمون اننى أنام متيقظة فوق وأسمع مايجرى ؟

آرشى : بالطبع يعلمون . انهم يعلمون أى نوع من أولاد الحرام أنا يا حبيبتى ، أظن انهم يعلمون تقريبا . نعم ، كما تعلمين تقريبا ، ستكون على ما يرام ، اليس كذلك يا حبيبتى ؟ أين الرجل العجوز ؟

(لفرانك وچين) والآن لا تزعموا أنكم لم تتعودوا هذا .

(يظهر بيلى) .

ها أنت أيها الماضى العجوز . هل أحضرت لنا شريحة من فخذ الخنزير ؟

بيلى : ما الذى جرى لكم جميعا ؟

آرشى : اننا جميعا ننتظر مجىء العربة الصفراء الصغيرة ...

بيلى : هل أحضرت سجايرى ؟

آرشى : فيما عدا چين ما زال هناك أمل فيها . انتظر أيها العجوز ، ستقرأ فى القريب عن حفيدتك والمستر جراهام شىء من ألم لودج فى شرو كسبرى جلوستر . هيا خذ .

(يرمى السجاير لبيلى ويقدم له كأسا) .

فوبيا : كنت تأكل من الكعكة .

بيلى : ماذا ؟

فوبيا : كنت تأكل من كعكتنى . كنت تأكل من كعكتى، اليس كذلك ؟

بيــلى : (متجهما) كنت جائعا ...

فوبيــا : تلك الــكعكة كانت لميك . كانت لميــك ولم تكن لك .

بيــلى : آســـف ...

فوبيــا : لقد اشتريتهــا من أجل ميك . كانت له عنــد ما يعود الى البيت .

آرشى : حسنا لا بأس .

فوبيــا : ماذا تعنى ... بقولك لا بأس ! !

آرشى : ميك لن يهتم .

فوبيــا : ولكننى أهتم . أنا لا أريد أن يدخــل هــذا المطبخ . قــل له أن لا يدخله . انهــا ليست بالشيء الكثــير ، وهى ليست لى ، ولكننى أهتم بها جدا ، لمــاذا لم تتركها وشأنها ؟

بيــلى : لقد تصورت ...

فوبيــا : ألم تستطع أن تتركها وشأنها ؟ انهــا لم تكن لك . ماذا جــرى لك ؟ اننى أطعمك ، أليس كذلك ؟ لا تظن أنك تعطينى مبلغا كافيــا من المــال كل أسبوع ، لأنك لا تفعل هذا .

أرشى : فوبيا ، انس هذا الموضوع .

فوبيـــا : لن أنساه ، لن أنسى شيئا . لن أنسى شيئا حتى لو نسيت أنت .

آرشى : حسنا ، اشتر واحدة أخرى .

فوبيـــا : آه ، ستشترى أنت واحدة أخرى ، فانت غنى جدا . انت ناجح نجــاحا عظيما . ماذا تكون كعكة صغيرة ... سنطلب دستة منها !! لقــد اشتريت هذه الكعكة وكلفتنى ثلاثين شــلنا . كانت لميك عندما يعود لأنى أريد أن أقدم له شيئا ، شيئا أعلم أنه سيسر به بعــد أن كان حيثما كان وقاسى ما قاسى . والآن فان هــذا الخنزير الشره القذر العجوز ــ وكأنما لم ينل كفايتــه من كل شىء ــ يذهب فيغرس أصابعه الغليظة فيها .

(تعجز عن تحمل هــذا فتنفجر باكية . بيلى يقف خجلا فى شــدة الألم مما قالتــه رغم أنه يدرك فى غير وضوح الحالة التى هى فيهــا . يضع الكأس الذى كان يشربه والسجاير) .

بيــلى : معذرة يا چين .

(يتجه الى غرفتــه ويخرج) .

فوييـــا : ليس عندك من سيحضر الليلة . أليس كذلك ؟

آرشى : أظنه أخذ أكثر من أى واحد منـــا ، وتمتع بما أخذ . حظ سعيد له . ومع ذلك ما كان لك أن تفعلى هذا . لا ، لن يحضر أحد .

فوييـــا : آوه ، آسفة يا آرشى . حاول أن تسامحنى ...

آرشى : ليس معنى هذا اننى لا أريد أن يكون هنـــاك من يحضر . ولـــكنك ســتعلمين حينئذ . هيا يا حبيبتى ، تمالكى نفسك . هذا ما كان ينبغى أن نفعله منـــذ ســنين . ان نتمالك أنفسنا . فلنتمالك أنفسنا . (يغنى) فلنتمالك أنفسنا ، أنفسنا ، أنفسنا ، فسنكون أسعد حالا * .

فرانك : هذا حق أيها الشباب... تذكروا اننا بريطانيون.

آرشى : هذا ما يفعله كل منا . انه بسيط جدا . لقـــد عرفته على الدوام . هذا ما كان أخى الكبير بيل يقوله لى دائما ... والآن فلنملأكؤوسنا ونسعد. ماذا عن ميك ، اه ؟

---

* الأصل : Let is pull ourselves together, together etc.

(يريد به الكاتب معارضـــة الأغنيـــة المشهورة

(The more we are together, together, together, the happier we shall be).

فرانك : نعم ، ماذا عن ميك . لا يستبد بك الحزن هكذا يا چين . انت تعلمين ما نحن عليه .

جين : أحقا ؟

آرشى : لا بأس ، فما من سبب يدعوها لأن تحزن ، على حد قول فوبيا . كلنا منقبضون قليلا ، وهذا معناه أننا أبعد قليلا عن الانسانية مما اعتدنا أن نكون . (لفرانك) أليس هذا صحيحا يا حضرة وقاد الغلايات العظيم . أراهن أن المرضى فى ذلك المستشفى قد تجسدوا جميعا حتى الموت ... لا بد أنه وفر الألوف على هيئة التأمين الصحى .

فرانك : (لفوبيا) هل تحسين انك على ما يرام الآن ؟

فوبيا : لعل چين لا تريد أن تأخذ كأسا ، أو تعلم لماذا ؟

آرشى : لا . لماذا ؟

فوبيا : لانى لا أظن انها تكن له حتى مجرد الحب . لا أظنها تحب ميك .

آرشى : ما من سبب يدعوها لحبه . ولكن هذا لا يمنعها أو يمنعنى . فرانك ، ادخل وتكلم مع الرجل العجوز واحمله على العودة (يتجه نحو عقد

الباب الأيمن) سنحاول أن نكون عاديين قليلا ولو مرة ، وتتظاهر باننا أسرة سعيدة محترمة مهذبة ، اكراما لميك.فانى لأظن ـ كما تعلمون ـ أنه يحب ذلك حقا من وجه ما . أنا واثق من أنه يعتقد اننا فى منتهى الفظاعة ، ألعن من الخنازير فى الواقع ، لا تبتئسى يا چين فلن يكون عليك أن تصمدى لمثل هذا طويلا ... أكثر من ميك . وهذه حفلة ميك . فويبا ، هيا فلنشاهد شيئا من رقصك (يلقى بهذه العبارة بطريقته المعتادة العرضية المدروسة) انها تجيد الرقص ، أليس كذلك أيها الشىء المسكين العجوز . انى لأتساءل هل ستحملنى على البكاء الليلة . سوف نرى . يا فرانك غنِّ لنا أغنيتك .

جين : أنا لا أعرف حتى كنه احساسى ، أو حتى اذا كنت أحس أبدا .

آرثى : لا بأس يا عزيزتى . أنا كذلك لم أعرف هذا منذ سنين . لقد توفاك الله منذ زمان طويل يا مسز ميرفى ، فلنجعلها احتفالا . ان ميك الجندى عائد الينا ، فلنعلنها بأعلى صوت .

(ستار)

(٧)

(موسيقى — يظهر آرشى ووجهه مشرق بابتسامة مصطنعة ، جامد وراء عينيه . ومن آن لآخر ، ولمدة ثانية او ثانيتين ، يبدو عليه بشكل طفيف جدا انه مندهش تقريبا اذ يجد نفسه حيث هو) .

آرشى : اسمعوا اسمعوا اسمعوا . لقد رأيت لتوى رجلا بليمونة ملتصقة بأذنه . ليمونة ملتصقة بأذنه . فذهبت اليه وقلت له « ماذا تفعل بهذه الليمونة الملتصقة بأذنك ؟ » فقال « أتعرف ذلك الرجل الذى يستخدم السماعة ... أنا الرجل الذى يستخدم الليمونة » . أشكركم على ما صدر منكم من تنفس عميق . كان ينبغى أن تسمعوا ماذا قال جيمس أجيت عنى . (راجعا) ولكن عندى صبر يا سيدتى أليس كذلك ؟ عندى صبر . نعم . تظنوننى موجودا ، أليس كذلك ؟ حسنا ، أنا لست موجودا . ولكنه موجود . هيا هيا . هل حكيت لكم حكاية الزوجة ؟ هل حكيت ؟ زوجتى ... انها ليست غبية فحسب ، ليست غبية فحسب ، بل انها باردة أيضا . أوه

نعم ، باردة . قــد تبدو جميلة ولكنهــا امرأة شديدة البرود ، زوجتى . باردة جــدا . باردة كان من المتعين أن تكون حقا انسانا له اعتباره . وغبية . انها ما يسمونه « مارون جلاســيه » . لا تصفقوا بشدة فالمكان قديم جــدا . حسنا ، عندى صبر ، أليس كذلك ؟ نعم ، عندى صبر . أنظروا الى ... كله حقيقى كما تعلمون . أنا ... كلى حقيقى ، لست خيــالا . لا تعتقدون اننى حقيقى ، أليس كذلك . حســنا ، أنــا لست حقيقيا . (يتعثر) لن أحرمكم من المتعــة التى أعلم انكم تنتظرونها جميعا . نعم سأغنى لكم . سأغنى لكم أغنية صغيرة ، أغنية صغيرة كتبتها بنفسى . لم أسجلها ولهذا فاذا أعجبتكم قولوا لهم. انهم لن يصغوا اليكم ولكن قولوا لهم.أغنية صغيرة اســمها « فتاتى مقطوعة الأنفاس دائما ولكنها لاتمانع فى اعطاء ضربة قوية » . (يغنى)

الآن ما أنا الا انسان عادى
مثلك انت هنــاك
لست مفتونا بالنساء ، لست زير نساء
لا أهتم بهن حقا أبدا
أنا ما تسميه معتدلا ،

أزن كل ما للأمور وما عليها .
أنا لا اضغط وأقلب
فى ذلك الشيء الذى يسمونه الحب
أنا لا أدخل أبدا من أجل الدخول .
أحمد الله اننى عادى ، عادى عادى .
أحمد الله اننى عادى .
ما أنا الا مثلكم أيها الأخوان .
أحمد الله اننى عادى ،
ما أنا الا مثلكم أيها الأخوان .
مهذب وحكيم ،
أنا لست واحدا من المثقفين المتزمتين .
لأننى واثق من أنكم ستوافقون
على أن انسانا مثلى
هو ملح وطننا العزيز العريق .

(يسلط ضوء مناسب . يستمر) .

ولكن عندما يهدد تراثنا
فى الوطن أو عبر البحار

(تعزف مقطوعة «أرض الأمل والمجد») .

فان الشباب من أمثالنا ... نعم أنتم وأنا

هم الذين سيسيرون مرة أخرى الى النصر.
يقول بعض الناس أننا انتهينا ،
يقول بعض الناس اننا أصبحنا فى خبر كان
ولكننا لو وقفنا جميعا

(الأضواء تكشف وراء الستار الخفيف
عن فتـــاة عارية تحمل على راسها خوذة
بريطانيـــا وتمسك كلبا من نوع البولدوج
وحربة مثلثة الطرف) .

الى جانب هذه الأرض العزيزة العريقة
فان المعركة ستكسب .
أحمد الله اننا عاديون ، عاديون ، عاديون.
أحمد الله اننا عاديون .
نحن زهرة الوطن
وعندما يجيء النداء الأكبر
سيطل علينـــا
من يقول : انهم لم يحدثوا هرجا ــ
لأن هذا كان أجمل ما أمطرتهم السماء .
نعم كان هذا أجمل ما أمطرتهم السماء .
أحمد الله اننا عاديون ، عاديون ، عاديون،
أحمد الله اننا عاديون .
نعم هذا أجمل ما أمطرتنا السماء .

(يخرج آرشى)

(٨)

آرثى : ستسرق سراويلك وتبيعها كمنافض .

فرانك : من ؟

آرثى : مسز روبرتس ، رقم ٧ كلاييث لين ، كانت تقول هذا دائما

فرانك : عمن تتكلم أيها الكلب اليمينى القذر العجوز .

فوبيا : انى أتكلم عن هذه الكلبة الشقراء التى فى الكامبريدج ، تلك التى تقلب رأس جدك على الدوام . ثم لا تسمنى كلباً يمينيا عجوزا .

فوبيا : انى أذكر مسز روبرتس ،كانت لطيفة جدا معنا .

آرثى : قد أكون كلبا عجوزا ، ولكنى لست يمينيا .

فرانك : هذا لمدخنى السيجار فقط من أمثال جدى . (يرقص) « أوم ، طرف سيجارى القديم ، سيجارى . طرف سيجارى القديم . أدرتهم ولمستهم بطرف سيجارى القديم . طرف سيجارى القديم ، سيجارى ... » .

آرثى : كان فى مدرستى شاب يسعى الى دخول حكومة العمال ، وكانوا يقولون عنه دائما انه من يسار الوسط . ثم دخل مجلس اللوردات فجعلوه سماكا محترما . نعم فهذا ما يغطى يسار الوسط تقريبا ، أليس كذلك ؟

فرانك : أنت تعلم انك لا تعلم عم تتحدث .

بيلى : كان من عادتى أن أستأجر جحورا فى كلايبت لين ... عشر شلنات فى الأسبوع شاملة .

فوييا : فرانك ، أظن أنك كنت تستغنى .

آرثى : لو استطعتم أن تتجنبوا كل الكليشيهات المتساقطة من السقف كالوطاويط لأمكنكم أن تظفروا بشىء منى .

فرانك : حسنا ، لقد استطاع كثيرون غيرنا أن يظفروا به منك .

آرثى : تذكر على الأقل اننى أبوك .

فرانك : ومتى تذكرت أنت هذا ؟

فوييا : فرانك ، هيا فلتكن ولدا طيبا .

آرثى : انت تريد أن تكون مثل چين ...

فرانك : أنهـا لم تعـد متعودة علينـا . أليس كذلك يا حبيبتى ؟

(يضع ذراعه حولهـا) .

جـين : انى على ما يرام .

فرانك : أحقا ؟ أراهن أنك نسيت كيف كان حالنـا ، أليس كذلك ؟

فوبيـا : انها لم تنس بالطبع . انها لا تنسىٓ بمثل هـذه السهولة . أتنسين يا عزيزتى ؟

جـين : لا ... لا أظن ذلك .

فرانك : (لفوبيا) أتشعرين بتحسن ؟

فوبيـا : نعم ، أشكرك يا عزيزى . تعال هنـا واعطنى قبلة . (يفعل ذلك) انه ولد طيب معى . ألست كذلك يا عزيزى ؟ حتى وان أسـأت التصرف قليلا أحيانا . كلنا نسيء التصرف قليلا أحيـانا على ما أعتقد .

آرشى : ما عدا چين ...

جـين : هـلا تفضلت بالكف عن محـاولة جعلى أشعر بأننى من كوكب آخر أو ما أشبهه .

فوييـــا : ان آرشى يمازحك . أليس كذلك يا آرشى ؟ لم أتناول حبوب بيتشام الخاصـــة بى أمس . أتعلمـــين أن أمى لم تعرض نفسهـــا أبدا على طبيب طول حياتها ، الا عنـــدما ولدنا بالطبع ، وكل ما كانت تتعـــاطاه هو مقـــدار بنسين من حبوب بيتشام والبيروكسيد ونقط داتش .

جـــين : بيروكسيد ؟

فرانك : كانت تشربه كالبيرة .

فوييـــا : نعم ، لقد عاشت حتى الثالثـــة والتسعين ولم تكلف الحكومة بنسا واحـــدا طول حياتهـــا . (لبيلى) هل أنت بخير ؟

بيـــلى : نعم ، أشكرك يا فوييا .

فوييـــا : (لآرشى) ضع شـــيئا فى كوبه يا آرشى . انه فارغ تقريبا .

بيـــلى : كنت أحاول تذكر اسم المرأة .

فوييـــا : أى أمرأة ؟

بيـــلى : تلك التى كانت فى كلايبت لين . كانت تقدم لنا فخذ الخنزير كل صباح فى الافطار وكانت تذيب الجبن فوقه . أول مرة ذقته فى حياتى .

فوبيـــا : لا أحب مثل هذا الشيء كثيرا . هنا ، هل ... معذرة لمقاطعتك اذ تذكرتها الآن فقط ... هل رأيت تلك الصورة المنشورة فى الصحيفة اليوم لابنة دوقة پورت ؟

فرانك : وهل لا بد من رؤيتها ؟

فوبيـــا : ما كنت لأراها ، وانما كنت فى الواقع أقــرأ فقط عن ميك بالطبع ، ولكننى لم أستطع اجتناب رؤيتها . كانت رائعة . هل رأيتها يا آرشى ؟

آرشى : أوه نعم . كانت بجــانب الــكابتن بريتش ـــ لودنج جور .

فوبيـــا : ألا تعتقد أنها بديعة المنظر .

آرشى : أظن أنها تشبه فتــاة البــار صاحبــة أبى فى الكامبريدج .

فرانك : نعم ... فى تثاقل خطاها .

فوبيـــا : فــرانك !!

آرشى : (بسرعة) فوبيا حريصة جدا على دوقة پورت ، ألست كذلك يا عزيزتى ؟ تقول انهــا تعتقــد أنها طبيعية .

فوبيـــا : اظن فى هذا بعض الحق ، ولكن . كانت دائما موضع اهتمامى . آوه ، منذ أن كانت صـغيرة جدا . أشعر بأنهـا جميلة جـدا من وجـه ما (سكوت) (لآرشى) هل هو بخير ؟ (مشيرة الى بيلى) .

آرشى : انه على ما يرام ؟ أنت بخير ، أليس كذلك ؟

بيـلى : كانت دائما تضع الجبن على لحم الخنزير .

آرشى : أنه يفكر فى صاحبة البيت فى كلايبث لين . أتعلم أن فتـاة البـار التى فى الكامبريدج تذكرنى بانسان ... (لچين) سيهمك هذا لأنه من حديث رؤساء الوزراء والكلاب ... كان ايرلنديا وكان يقـوم بدور ترامبولين وكانوا يسمونه ليـدى روزى بوئوايز . والواقع أنه كان ولدا شديد التدين . وقد ترك كل ذلك فيما بعد واشتغل بالملاقات العامة أو شيء ما . الشاهد أن روزى يعرف من الألفاظ القذرة أكثر مما قد تسمعه فى أى مكان فى أى ليلة سبت ، وكان يستطيع أن يستمر عشر دقائق دون أن يتوقف ليتنفس ودون أن يكرر أى كلمة . كان فنانا . غير أن أقبح كلمة من أربعـة حروف فى الانجليزية أو

أى لغة أخرى عند روزى كانت كلمة « تورى » وكان يطلقها على أى شيء بشرط أن يعتقد أنه على درجة كافية من السوء * .

بيلى : أراهن أنه ايرلندى .

آرشى : هذا ما قلته حالا . حاول أن تصغى .

فوبيا : أعتقد أن فرانك كان سيغنى .

آرشى : لو أعطيته طبقا من البطاطس الردىء الطهو لرفعه وقال « من الذى صنع هذه الشرائح الرديئة الفارغة الفارغة المتعفنة المحافظة (التورى) ؟ » .

فرانك : لقد قلت هذه الحكاية من قبل .

آرشى : سأصفعك حالا .

فرانك : سأصفعك أنت حالا ... مع أنها ليست حكاية جيدة .

آرشى : عندما تتعلم كيف تحكى حكاية مثلما أحكيها أنا ، ستكون على ما يرام ...

Tory : هو الاسم التقليدى لحزب المحافظين فى بريطانيا ، وهو الصفة التى تطلق على عضو الحزب أيضا .

فرانك : ان ابدو أبدا عجوزا بالقدر الذى يحملنى على ان احكى حكاياتك .

آرشى : الان الاحسن لك أن تغنى ، أليس كذلك ؟

فرانك : وهو كذلك . وهو كذلك . سأغنى . سأغنى لجين لأنها لم تسمعنى . سأغنى احدى أغانى بيلى . انها بريطانية ...

بيلى : ما هذا ؟ أى أغنية ؟

فرانك : ودينية جدا .

بيلى : أى أغنية سيغنيها ؟

فرانك : ولذا فان فيها شيئا ما لكم جميعا .

(يغنى ويرقص) .

بعد ما هتفتم : احكمى يا بريطانيا ،
وبعد ما غنيتم : حفظ الله الملكة ،

وبعد ما انتهيتم من قتل كروجر بأفواهكم،
ألا تتعطفون فتسقطون شلنا فى رقى الصغير
لسيد يلبس الكاكى تلقى الأمر بالسفر الى الجنوب .

انه شحاذ شارد اللب كثير مواطن الضعف
ولكننا نحن المخبرين نأخذه كما وجدناه
لأنه ذاهب الى الخدمة العامة ، وهو يمحو
شيئاً ما من أحد الألواح .
وقدخلف وراءه كثيرا من الأشياء الصغيرة.
ابن الطاهيـــة وابن الـــدوق وابن الايرل
المتمنطق .

* * *

خمسة آلاف حصان ورجـــل تلقت الأمر
بالسفر الى خليج تيبل .
كل منهم يؤدى عملا لبلاده ...
ومن ذا الذى سيرعى الفتاة ؟
دعوا القبعة تمر لتتلقى نقودكم ، وادفعوا،
ادفعوا ، ادفعوا .

بيـــلى : دعـــوا القبعة تمر لتتلقى نقودكم ، وادفعوا ، ادفعوا ، ادفعوا .

لا بأس بالنسبة لهاو .

بيـــلى : آخر مرة غنيت هذه الأغنية كانت فى حانة ، فى مكان فى يوركشير ، اذا اشتريت فيه كوزا من البيرة أعطوك طبقـــا من عصيدة يوركشير فى

ذلك الوقت ، به أقصى ما تستطيع أن تأكل .
كل هذا مقابل بنسين .

آرشي : دع عنك هذا يا أبى . ما قدم أحد أبدا شيئا كهذا ، حتى فى أيامك .

بيلى : أنا أقول لك انك كنت تأخذ طبقا من عصيدة يوركشير ...

آرشي : لقد خرفت فعلا من الشيخوخة .

بيلى : به أقصى ما تستطيع أن تأكل .

آرشي : ان عقلك ذاهب يا أبى . يجب أن أجلس .

بيلى : انى جالس .

آرشي : أصابك الوهن .

فوبيا : آرشى ، لا تشاكسه .

بيلى : لست واهنا . لست فى نصف وهنك القذر ...
ولله الحمد (فجأة يراهم يبتسمون لمنظره)
أحمد الله انى لست كذلك ، هذا كل ما فى الأمر.
أتظن أنك تستطيع التغلب علىّ بسهولة .
اعطنى شيئا من هذا .

فرانك : حين لا تكون هنالك فتاة تشعر بوحدة شديدة . حين لاتكون هنالكفتاة تغدو وحيدا مع نفسك...

آرشى : اسكت لحظة من فضلك . انى أحاول أن أتذكر. آه نعم نعم . البنت التى أحبها فوق دورة المياه، البنت التى أحبها تنظر الى من أعلى

فوبيا : لا ، لا تغن هذه يا آرشى . لا تغنها هكذا . (لجين وفرانك) دائما يغنى هذه الأغنية ، أليس كذلك ؟ انها أغنيته المفضلة على ما أظن.

جين : غنها أنت .

فوبيا : أنا ... أوه أنا لا أستطيع أن أغنى ، ولا أعلم حتى هل أذكر الكلمات .

فرانك : هيا يا حبيبتى ، حاولى .

فوبيا : (لآرشى) هل أغنى ؟ (يومىء ايماءة خفيفة) وهو كذلك اذن (تغنى) .

أوه الفتى الذى أحبه فى الشرفة فوق
الولد الذى أحبه يطل علىّ من عل
أين هو ؟
أنه هناك
يلوح بمنديله

سعيد كالعصفور
الذى يغرد على الشجرة .

جين : شكرا لك يا فوبيا . شكرا لك .

فوبيا : كانت رائعة جدا على ما أعتقد .

بيلى : حسنا ، أنا ذاهب الى فراشى .

فوبيا : من الآن ؟

بيلى : (ذاهبا الى حجرته) نعم ، انما جلست لأشرب كأسا نخب ميك الصغير . سآوى الى فراشى قبل أن يصعد هؤلاء البولنديون الأقذار الى هنا . ليلتكم سعيدة جميعا . (يردون ، ليلة سعيدة) .

فوبيا : أظن اننى يجب أن أذهب بعد لحظة . أشعر ببعض التعب . وسوف لا أذهب للعمل غدا أيضا . نعم ، ما أظنكم تتوقعون أن أذهب ، أليس كذلك ؟

جين : بالطبع لا نتوقع .

فوبيا : ولعلى مهتاجة الى الحد الذى لا أستطيع معه

نوما على أى حال . (لچين) هل أريتك الخطاب الذى تلقيته من كلير ؟

جـين : من هى كلير ؟

آرثى : (لفوبيا) أنا ذاهب الى فراشى يا عزيزتى .

فوبيـا : دقيقة واحدة . سأقرأ لها خطاب كلير . كلير ابنة أخى ... تلك التى فى تورنتـو . الأفضـل أن أقراه لك فخطها ليس حسنا جدا . انها ابنـة أخى چون . انهم جميعا هناك الآن وكذلك أخى چون . لقد بدأوا فى شغل المطاعم منـذ أربع سـنوات بخمسمائة دولار ... وهـذه بنتهـم الصغرى (تناول صـورة فوتوغرافية لچـين) والآن لديهم فندق فى تورنتو وسيفتحون فندقاً آخـر .

آرثى : (لچين) ليس عليك أن تبدى اهتماما يا عزيزتى . (لفوبيا) انها لا تهتم بكل روث الخيل هـذا عن كنـدا .

فوبيـا : انها تهتم طبعا ، ولا ترفض الاصـغاء . أليس كذلك ؟

آرثى : لمـاذا لا يغنى فرانك أغنية أخرى ؟

فوبيـــا : أنا أحاول فقط أن أوضح لهـــا . لقـــد فتحوا واحدا فى تورنتو وسيفتحون فندقا آخـــر فى أوتاوا . وأخى چون يدير فندق تورنتو نيـــابة عنهم . ولكنهم يريدون منا أن نلحق بهـــم وأن يتولى آرشى ادارة فندق أوتاوا .

آرشى : ما الذى أعرفه عن الفنادق ؟ كل ما عشت فيـــه هو الجحور .

فوبيـــا : انه يغضب كلما ذكرت ذلك .

آرشى : بالله لا تقولى اننى أغضب كلما ذكرت ذلك مرة أخـــرى . لقـــد ذكرته ، أليس كذلك ؟ ولست غاضـــبا ، وانما أظن فقط انهـــا فكرة قـــذرة لا هدف لهـــا .

جـــين : متى كتبوا اليك هذا ؟

فوبيـــا : منذ نحو أسبوعين . أوه انها تقول اننا لا نحتاج لاتخاذ قرار قبل شهر أو شهرين .

جـــين : وماذا عن الأولاد ؟

فوبيـــا : فى وســـعهم أن يحضروا أيضا اذا أرادوا . أنا

لا أعرف شيئا بخصوص ميك ، ولكن فرانك مرتاح للفكرة ، أليس كذلك ؟

جين : أحقا يا فرانك ؟

فرانك : تلفتى حولك . هل تستطيعين أن تجدى سببا واحدا قويا للبقاء فى هذا الركن المربح الصغير من أوروبا ؟ لا تخدعى نفسك فتظنى أن أحدا سيتركك تفعلين شيئا أو تحاولين شيئا هنا يا چين ، لأنهم لا يسمحون . ما من فرصة أمامك . من أنت ؟ انت لا شيء . انت لا شيء ، فليس عندك مال ، وما زلت صغيرة . وعندما تبلغين آخر الشوط ، من المؤكد جدا انك ستظلين لا شيء ، وستظلين بلا مال . والفارق الوحيد انك ستكونين قد بلغت الشيخوخة . من الخير لك أن تبدئى فى التفكير فى نفسك يا چين لأنه ليس هناك من سيقوم عنك بهذه المهمة . ليس هناك من سيقوم بهذه المهمة لأنه لم يبق من يؤمن بهذه الأمور الآن . أوه ، قد يقولون انهم يفعلون ، وقد يقتطعون بضعة دراهم من أجرك كل أسبوع ويلصقون بعض الطوابع على بطاقتك ليقنعوك،ولكن لا تصدقى

فلن تجدى انسانا يعيد النظر الى وجهك . انهم جميعا مشغولون جدا ، يرمحون معا فى وسط الطريق غير آبهين الى أين يذهبون طالما كانوا فى الوسط الملعون . (يكاد يغنى) أولاد الحرام المتهرئون . « أوه ، حين لا تكون هناك فتاة تشعر بوحدة شديدة . حين لا تكون هناك فتاة تغدو وحيدا مع نفسك » .

آرشى : أوشين . انك ستوقظ البولنديين .

فرانك : يجب أن يوقظك انسان ما . « تغدو وحيدا مع نفسك » .

آرشى : يجب أن تذهب الى فراشك .

فرانك : انت وهذه الكلبة الشقراء التى فى الكامبريدج .. انت وهى . كقرد على شجرة ، على ما أظن .. أنا ذاهب الى الفراش .

(يخرج وهو يغنى واضعا ذراعه على كتف آرشى وملوحا للآخرين) .

آرشى : ليلة سعيدة يا ولدى .

فرانك : (يغنى) أينتها الصخرة التى نحتت من أجلى منذ القدم .

دعيني أخبيء نفسي فيك .

آرشي : على أي حـال لا يمكنك شراء بـيرة باص في تورنتو .

فوبيـا : اليك ، هذا ما تقوله : انها تتكلم عنا فيما يتعلق بسفرنا ودفع أجرة السفر الى آخره . وبعـد هذا عن الوظيفة في أوتاوا . الخبرة غير لازمة ، المهم أن يكون العمل في يد واحد من أهلهم . انها تقول « لدينا جهاز تليفزيون واحد وعشرون بوصة وجهاز راديو الخ . والآن لدينا سيارة شـيفروليه بل اير طـراز ١٩٦٥ مزودة بناقل أوتوماتيكي وبكل الكماليات التي يطلبها الجميع هنا . أنا واثقـة من أنك وآرشي ستستقران في أقرب وقت وسيمضي كل شيء على خير وجه . (تطبق الخطاب بعناية) اعتقـدت أنك تودين أن تسمعي ما قالته .

جـين : نعم ، أشكرك .

فوبيـا : (بعد سكوت قصير) هل ستبقي سهران أكثر من هذا يا آرشي ؟

آرشي : أنا على وشك القيـام .

فوييـــا : أعتقد أننـــا جميعا مرهقون . لا أســـتطيع أن أحتمـــل كل هـــذه الانارة بعـــد هـــذا .
(لچـــين) ليلة ســـعيدة يا عزيزتى . سامحينى ان كنت قد أبديت بعض السخف .

جـــين : انسى هـــذا . ليلة سعيدة . سوف لا أوقظك .

فوييـــا : ليلة سعيدة يا آرشى .

آرشى : سآتى وأقول لك ليلة سعيدة .

فوييـــا : شكرا يا عزيزى . علينا أن ندبر له مكانا للنوم، أليس كذلك ؟

آرشى : ميك ؟ أوه ، انه يستطيع أن يشاركنى فى فراشى.

فوييـــا : نعم . انى أتوقع أنه سيكون فى غاية الارهاق ، الطفل المسكين . أوه حسنا ، لن يطول غيـــابه الآن . (تخرج) .

آرشى : لقد ذهبت الى كندا خلال الحرب .

جـــين : أذكر ذلك .

آرشى : لم أستطع الحصـــول على أى بـــيرة باص فى تورنتو ، ويبدو أنهم يعتبرونها انجليزية جـــدا (سكوت) انها ليست انجليزية جدا فى نظرى .

لست قادرا على هضمك فيما يختص بذهابك الى ميدان ترافلجار ، هل تهتمين حقا بكل هذه الأمور ؟

جين : كنت أعتقد ذلك وقتئذ .

آرشي : هذه حال الباص والنساء ، آه . ألم أقص عليك أبدا حكايتي مع الراهبات ؟ لقد نظرن الى نظرة واحدة فقط ... أستطيع أن أتذكر وجوههن البيضاء السقيمة وعيونهن الصغيرة ... نظرن الى مرة واحدة ، واذا بهن جميعا وفى نفس اللحظة وبطريقة تلقائية جدا جدا يرسمن علامة الصليب على أنفسهن . رسمن الصليب على أنفسهن وكانت هذه أكبر تحية ظفرت بها طول حياتي . فلنأخذ كأسا آخر من هذا ، أتوافقين ؟

جين : بالتأكيد .

آرشي : لقد تشاجرتِ مع فوبيا الليلة .

جين : لم يكن شيئا هاما . بدا أنها انقلبت علىّ فجأة.

آرشي : كان لى مع أمك موقف سخيف بسبب فوبيا .
(سكوت)

جين : ما علمت بهذا .

آرشي : لا أعلم ما الذى كنت أتوقعه حقا ، ولكنى من وجه ما توقعت أن تقولى شيئا أكثر من هذا .

جين : وماذا تنتظر منى أن أفعل ... أعقد حلقة للمناقشة فى ميدان ترافلجار ؟

آرشي : كل أولادى يعتقدون أننى زير نساء . لم أعبأ أبدا بان أخفى ذلك على ما أعتقد ... وهذه هى الاجابة .

جين : لعله يجب أن نذهب الى الفراش .

آرشي : لا ، أبقى برهة . أظن أن لدى كلينا القابلية . كنت قد ولدت لتوك حين طرأ ذلك الموقف ، وكانت أمك كما تقولين شخصا ذا ... شخصا ذا مبدأ ، فعرفَتْ كيف ينبغى للناس أن يتصرفوا ، ولم يكن فى هذه المسألة طريقان . لم تغفر لى أبدا على أى حال .

جين : لم تكن تحبها ...

(آرشي قد سكر فهو يغنى وينغم كلامه كما لا يستطيع الا سكران ، بطريقة موضوعيةومدروسة تقريبا كقائد أوركسترا يقود صوته) .

آرشي : بلى كنت أحبهـا . كنت مغرما بهـا مهما يكن معنى ذلك ، لا أدرى . على أى حال فقد ماتت بعد بضعة شهور ، وهذا ما كان . كانت أمك عميقة الاحساس بكل شيء ... أعمق بكثير مني. ولعله كان فى امكاننا أن نسير الأمور فيما بيننا. ألم أخبـرك أبدا بأكبر شيء مؤثر سـمعته فى حياتى ؟ كان ذلك عندما كنت فى كندا ... كنت أعبر الحـدود خلسة فى بعض الأحيـان لأقابل اناسا أعرفهم ، وذات ليلة سمعت زنجية تغنى فى بار . والآن سـوف تبتسمين لهذا ، سـوف تبتسمين حتى يطـير عقلك المتعلم الانجليزى ، لانى أعتقد أنك لم تجلسى أبدا وحيدة شـبه منطوية فى أحد البارات وسط جمع من الأغراب على مبعدة آلف ميل من أى شيء تعتقدين أنك تفهمينه . ذلك انى اذا كنت قد رأيت فى حياتى أى أمل أو قوة فى النوع الانسانى ، فانما كان ذلك فى وجه تلك الزنجية العجوز السمينة حين قامت لتغنى عن اليسوع أو شيء مشابه . كانت فقيرة وحيدة مضطهدة كما لم ترَىْ انسانا فى حياتك ، أو كما لم أره أنا من هذا القبيل . بل اننى لم أكن أحب ذلك النوع من الموسيقى .

غير أن منظر هذه العاهرة العجوز السوداء وهى تفجر قلبها غناء للعالم كله ، يقنعك فى الصميم بطريقة ما ، انه مهما يكن مبلغ ما يعانيه الناس ؛ الناس الحقيقيون ، من الرفس والركل والاحتقار ، فانه عديم الأهمية طالما انهم يستطيعون أن يقفوا فيطلقوا صوتا عاليا نقيا طبيعيا مجردا كهذا ، فما من عيب فيهم ، انما العيب فى كل من عداهم . لم أسمع أبدا شيئا مثل هذا منذ ذلك الحين . لم أسمعه هنا قط . أوه ، لقد سمعت همسات منه فى احدى ليالى السبت فى مكان ما . أوه ، ولقد سمعه هو ، أعنى بيلى . لقد سمعهم يغنون منذ سنوات بعيدة ، هذا العجوز المسكين ، ولكنك لا تسمعينه الآن فى أى مكان ، ولا أظن أننا سنسمعه مرة أخرى ، فلم يبق من عنده مثل هذا الاحساس . كم أتمنى على الله أن أستطيع ، كم أتمنى على الله أن أستطيع أن يكون لى احساس تلك الكلبة العجوز السوداء بخدودها المكتنزة ، ثم أغنى . لو اننى فعلت شيئا واحدا كهذا فى حياتى كلها لكفانى . فهو خير من أن تمضى فى عملك دون ضجة ، أو أن تفعلى شيئا

بنّـاء ، وخـير من كل مناقشاتك فى ميـدان ترافلجـار !! كم أتمنى من الله أن أكـون تلك الغرارة العجوز ، واذن لوقفت أهز صـدرى الضخم صعودا وهبوطا وأرفـع رأسى عاليـا وأصدر أعظم الضجيج جمالا فى هـذا العالم . يا آلهى لو استطعت . ولكننى لن أفعل ذلك ، فما عدت آبه لشىء حتى النساء أو بيرة باص . هل تظنين انك تفعلين شيئا من هذا ؟ أتظنين ؟

جـين : لا أدرى . الحق اننى لا أدرى . لعلى سـأفعل مثل ما تفعل تماما .

آرشى : بالطبع ستفعلين . واعلمى انك ستكونين أكثر نجاحا فى هذا ، فأنت أكثر مهارة ، وانى لأظن انك تحسين حقا بشىء ما أيضا ، على الرغم من كل ما قيل عن ميدان ترافلجار . انت من النوع الذى يسمونه عاطفيا ، تحملين كل استجاباتك معك حيثما سرت بدلا من أن تتركيها فى البيت. وعلى حين يجلس الآخرون على أيديهم تكونين أنت الفتى المتحمس الجالس فى المؤخره يصفق حتى يوجع كفيـه . ولكنك سـتضطرين الى الجلوس على يديك كما يفعل كل الناس . أوه ،

لعلك تظنين اننى لست الا ممثلا عجوزا مهلهلا من ممثلى صالة الموسـيقى ، يجب أن أواجـه بالحقيقة ، مثل بيلى العجوز ، من أن النـاس ما عادوا يلبسون الثياب الفـاخرة والأحـذية اللامعة . أنت تعلمين انك عنـدما تصعدين الى هناك يخيل لك انك تـحيِّين كل أولئك النـاس الذين حولك هناك ، ولكنك لا تحبينهم . انت لا تحبينهم ولن تقفى لتحدثى ضـجة محببة . ولو تعلمت الأمر على الوجه الصحيح لاتخذت لنفسك آسلوبا . بوسعك أن تبتسمى ، ويحك تبتسمى ، وتلوحى انك أخلص وأجمل شىء فى الدنيا،ولكنك ستكونين هامدة متكلفة متهالكة، وستجلسين على يديك كما يفعل سائر الناس . انظرى الى هـذا الوجه . انظرى اليه . هـذا الوجـه يستطيع أن يتفجـر حرارة وانسانية ، يستطيع أن يغنى وأن يحكى أردأ الحكايات فى العالم وأبعدها عن الاضحاك لمجموعة كبيرة من الجذوع الميتة الخـاوية دون أى اهتمام ، دون أى اهتمام .دون أى اهتمام لأن ... انظرى الى عينى . اننى ميت وراء هاتين العنيين . اننى ميت تماما مثل تلك الجموع الجامدة الزائفـة التى

هناك . لا اهتمام لانى لا أشعر بشىء ؛ ولا هم يشعرون ، كــلانا ميت كصاحبــه . اخبرينى ، اخبرينى بشىء. أريدك أن تخبرينى بشىء ، ماذا عساك تقولين فى رجل من مثــل سنى يتزوج فتــاة من مثل ســنك أو قريبــة من سنك ؟ لا تنزعجى . لقد قلت لك اننى لا أحس بشىء .

جــين : انك لا تستطيع !! لا تستطيع أن تفعل شــيئا كهــذا !!

آرثى : لقد ابتعدت عن أبيك العجوز فترة طالت قليلا . لم نر بعضنا كثــيرا ، أليس كذلك ؟ حسنا ، لا بأس .

جــين : لعلك لست جادا !! انك لا تستطيع أن تفعــل هذا بفوبيا ... لا تستطيع طلاقها .

آرثى : الأطفــال !! (يضحك) الأطفال !! انهم كقاعة الموسيقى اللعينة.لا تقلقى على رجلك العجوز... انه ما زال قلقا بعض الشىء على ميك الصغير ، أظنه كذلك على الأقل . لقد قلت لك انه لا شىء يحرك احساسى . وكما قال الرجل ، لقد دفعت شلنا وست بنسات ... أتحــداك أن تسلينى !! دع أى واحد هناك يقف ويمثل فاصلا ، دعهم

يقفـون ، لا يهمنى مبلغ جـودته . أن آرشى العجوز الميت وراء عينيـه جالس على يديه ، وقد فقد الاستجابة وهو على الطـريق . انت لا تظنـين اننى كنت ذا جاذبيـة جنسية تلفت النظر الى ، أليس كذلك ؟ انت لا تظنين اننى كنت ذا جاذبيـة جنسـية تلفت النظـر الى ، أليس كذلك ؟ حسنا ، عندى محاولة يا سيدتى. عندى محاولة ، أليس كذلك ؟ عندى محاولة . فتاة البار هذه التى فى الكامبريدج . هذه الفتاة التى قلبت رأس بيـلى المسـكين العجـوز فى الكامبريدج ... لقد نلتها ، فى غفلة منه ...

(تدخل فوبيـا) .

فوبيــا : ظننتك قد أحضرت شخصا ما هنا . لقد نادوا من أسفل الدرج . هناك شرطى بالبـاب يسأل عنك يا آرشى .

آرشى : انه محصل ضريبـة الدخل . اخبريه باننى كنت فى انتظاره . كنت فى انتظاره منذ عشرين سنة.

فوبيــا : (لچين) أظن أنه يبحث عن شخص ما هنا ... ماذا تظنينه يريد ؟

آرشى : ليس الا أنا وابنتى چين ... التى آنجبتهـا من حبى الأول . لمـاذا لا تعودين الى لندن ؟ قولى لى ، ألست مسرورة بانك عادية ؟ لقـد عشت طول حياتى أعمل سبعة أيام فى الأسبوع ، أليس كذلك يا فوبيا ؟ أعمل سبعة أيام فى الأسبوع . كنت دائما فى حاجة الى قفزة آخر النهـار ... وأوله كذلك عادةً . كمجرد قطعـة من لحـم الخنزير على اللوحة . حسنا ، انها مشكلة كل انسان ما لم تكونى مثل ميك خالية من المشاكل. نعم ، كان عنده مشكلة ولكنه الآن فى طريقه . نعم أنه ولد بلا مشاكل . أنا نفسى رجل أعمل سبعة أيام فى الأسبوع ، ومرتين فى اليوم . يا فوبيا المسكينة العجوز ، لا يبدو الهم عليك هكـذا يا حبيبتى . اما انهـم يفعلونهـا ولا يستمتعون بها، أو أنهم لايفعلونها ولا يستمعون بهـا . لا يبد الهم عليك هكذا يا حبيبتى . لقد سـكر آرشى مرة أخرى . انه ليس الا محصل ضريبة الدخل .

فوبيـا : لقد نزل فرانك ...

فرانك : (داخلا) أولاد الزنا !! أولاد الزنا المتعفنون !! لقد قتلوه . لقد قتلوا ميك . هؤلاء الخنازير

القــذرة ... لقــد قتــلوه . أوه ، أولاد الزنا المتعفنون !!

آرشى : (يغنى ببــطء) أوه يــا ربى ، لا يهمنى أين يدفنون جثمانى ، لا ، لا ، يهمنى أين يدفنون جثمانى . لأن روحى ذاهبة لتحيا مع الله .

ســتار

نهــاية الفصل الثــانى

(٩)

(موســيقى جاز . الضوء على فرانك أمام البيــانو) .

فرانك : أعيدوا جثمانه وادفنوه فى انجلترا
أعيدوا جثمانه وادفنوه هنــا
أعيدوا جثمانه فى طائرة
ولكن لا تكلمونى أبدا .
تلك الملاعب التى فى ايتون
هى فى الحق سبب هزيمتنا .
ولكن لا فائدة فى الحزن
لانها هى بريطانيا التى نؤمن بها .
ولذا أعيدوا جثمانه وادفنوه هنا .

أعيدوا جثمانه فى طائرة ...
ولكن لا تكلمونى أبدا .

(يتلاشى) .

(١٠)

بيلى . فوييا . جين . فرانك . بيلى وفوييا يلبسان السواد والآخران يلبسان شريطا أسود على الذراع .

جين : حسنا : هذا ما حدث . (تتناول صحيفة) هل يستطيع أى انسان أن يخبرنى الام انتهى الأمر كله ؟ (سكوت)

آرشى : كانت عمتى تقول نفس الشىء ، « نعم ، لقد أرسلوه الى حيث لا رجوع » . كانت تقولها دائما كل مرة . (لبيلى) أليس كذلك ؟

بيلى : يا لروزى العجوز المسكينة .

آرشى : كنت أتساءل ماذا عساه يحدث اذا لم تقلها .

بيلى : كانت روزى العجوز وأنا نقضى أوقاتا طيبة معا. وكنا كثيرا ما نخرج للنزهة معا . قبل أن تتزوج كلانا .

جيـــن : حســـنا ، أظن الأمر يصيب انســـانا ما بضربة . هل أنت بخير يا فوبيا ؟

فوبيـــا : أنا بخير يا عزيزتى . متعبة قليلا .

بيـــلى : أى مكان كانت لندن اذ ذاك لقضاء وقت طيب. أحسن مكان فى الدنيا للضحك . كان النـــاس دائما على استعداد لأن يضحكوا ويرحبوا بك. كانت أحسن نظارة فى العالم .

(يعبر الى يسار الوسط ويحضر كرسيا ويجلس الى المنضدة) .

آرشى : كنت فى قرية صغيرة فى دونجال ذات مرة ، فى الرحلة الايرلندية كما تذكر . وفى صــباح يوم وصولنا هنالك جاءنى رجل وقال : « أوه ، نحن من كبار دارسى الدراما هنا . من كبار دارسى الدراما . وناقدونا المسرحيون يســـتطيعون أن يمسحوا أى انسان ... أى انسان » . واتضح أنه حداد القـــرية . ثم قال ، قال « اذا نجحت أمام النظارة هنـــا فستنجح أمام أى نظارة فى العالم » . وكان هذا حقا أيضا . فقـــد خرجت بضربة على عينى .

بيـــلى : فى بعض الأماكن لا يفعلون شيئا الا أن يجلسوا ويحملقــوا فيــك . يجلســـون ... لا غـــير . أما لندن فقدكانت هى المكان. روزى العجوز... كانت امرأة جميلة . أنا مسرور لأنها ليست هنا الآن .

جـــين : (تفتش فى الصحف) كيف تستطيع أن تنافس هذه الأشياء ؟

فرانك : ليس ذلك فى الاستطاعة .

جـــين : لمـــاذا لم يحصل انسان على صـــورة لك وأنت توقد الغلايات ؟

آرشى : لا أعتقد أن ميك كان سيهتم بها جدا .

فرانك : كلنا مرهقـــون .

جـــين : كلنا مرهقون حقا . كلنا مرهقون . كل واحـــد منا واقف حول المكان ، يتسكع دون أى مقصد، منتظرا أن يؤخذ بأى أمر قد يسمحون بوقوعه لنا بعد ذلك .

آرشى : بحق يسوع ، لا تشرعى فى أن تصيرى عاطفية...

جـــين : لست أتوقع أن تصير كذلك .

....

آرشى : هذا صحيح .

جـــين : ولكن فرانك مختلف ... على الأقل أرجو أنه يكون كذلك . ليس عليك أن تخاف يا فرانك. لست فى حاجة لأن تقلق من أن تكون عاطفيا كخطيبى الموهوب . لن تموت بسببها . قد تظن أنك تستطيع ، ولكن لا .

آرشى : كان ميك العجوز يشبه جراهام الى حد ما ، فى الواقع كان يبدو أنه يعرف ما يريد والى أين هو ذاهب .

جـــين : أكان كذلك ، هذا أمر مهم ...

آرشى : أذكر أنه كانت له علاقة بفتاة تسمى سيلفيا ، كان فى حوالى السادسة عشرة اذ ذاك .

جـــين : ماذا جرى لك يا آرشى ؟

فرانك : لمـــاذا لا تتركيه وشأنه ؟

آرشى : هذا صحيح ، لمـــاذا لا تتركى رجلك العجوز وشأنه ؟

جـــين : أوه ، لقد تركتك وشأنك تماما .

آرشى : هل أقول لكم ... ظللت طول حياتى أبحث عن

شيء ما . ظللت أبحث عن نوع من البيرة يمكنك أن تشرب منه طول المساء دون أن تجرى الى الخارج كل عشر دقائق ، وأن تشرب منه حتى «سكر دون أن تشعر بالسقم ، وكل هذا مقابل اربعة بنسات . والآن فان الرجل الذى يستطيع أن يقدم لى كل هــذا سـيظفر بصـوتى فى الانتخابات حقا . سيظفر به حقا . أوه ، حسنا ، لأن أصنع امرأة أيسر عنـدى على الدوام من أن أصنع رأيا .

جـين : أتعلم يا آرشى أنك زنديق بعض الشيء ..

فوبيـا : چـين ...

جـين : أنت كذلك حقـا ... انك زنديق تمشى على ساقين .

آرشى : ألأنى لا أهتم بشيء سـوى البيرة ؟ اسـمعى يا بنيتى ، سوف تكتشفين فى النهاية أنه لا يوجد انسان يعير أى اهتمام لشيء الا اذا كان حاجة حيوانية صغيرة . وبالنسبة لى هـذه الحاجـة الحيوانية الصغيرة هى البـيرة . والآن لمـاذا لا تستطيعين الكف عن مهاجمة كل انسان ؟

جـين : لا أستطيع .

آرشى : ماذا تظنين نفسك ... جرعة من الأملاح ؟

جـين : هذا طبعى .

آرشى : حسنا ، ما آمنت فى الواقـع أبدا بكل هــذه النظافة الداخلية على كل حال. هل تركت زجاجة من البيرة هنا الليلة المـاضية ؟

فوبيـا : لا أظن هذا يا عزيزى .

آرشى : اذا لم تكونى على حذر يا چـين فان النـاس، سيشرعون فى اطلاق النعـوت عليك فى أقرب وقت ، واذا ذاك سوف تصبحين مجرد لا شىء. ستصبحين لا شىء كبقيتنا .

فوبيـا : سيحضر لك فرانك بعض البيرة . لقد بقى شىء منها فى المطبخ . هل تسمح يا عزيزى ؟

فرانك : بالتأكيد . (يقف ويعبر عن يسار الكرسى)

جـين : لا يمكن لنا جميعا أن نقضى وقتنـا فى تسمير حقائبنا فى الأرض والتدلى من النافذة .

آرشى : وتسليك المجارى .

جـين : انك مثـل الباقين ولكنك أردأ حالا ... انت تستطيـع تغطيـة نفسك بمجرد عـدم ابداء

الاكتراث . (وتشير الى الصحف) تظن أنك اذا لم تبد الاكتراث فانك لا يمكن أن تحقر ، ولذا فانك تفرغ حياتك فى الصراخ بكلمات من أربعة حروف مكتفيا بالأمل فى أن الأمور ستصلح بطريقة ما .

فرانك : اتركيه وشأنه ، فهو ليس الا مغموما مثلك . ولذا اسكتى .

جين : سأقص عليكم قصة آرشى رايس . حسنا . هل تريدون العناوين الرئيسية أولا ؟

آرشى : لم أحب القسيس على كل حال . لقد كرهته حقا . كان كأنما يريد أن يطرد الجميع ، هل لاحظت ذلك ؟

جين : لا تخادعنى . انك لا تستطيع أن تخدع قطة .

آرشى : استمرى ... اشتمينى ، لا يهمنى . شىء واحد اكتشفته منذ زمن طويل ، هو أن معظم الناس لا يعرفون أبدا متى يُشتَمون . وأن كثيرا من الناس يجمعون كثيرا من المال باستغلال هذا المبدأ . انى متبلد كالبرميل فى الحقيقة . اعلمى انى لست خيرا من بقيتهم .

جين : أوه الآن لا تشرع فى التواضع ...

آرشى : اننى متواضع . أنا متواضع جدا فى الحقيقة . ما زالت بى أثارة" من الحقارة تدور فى داخلى. وما أظن بك شيئا منها .

جين : وهذا كل ما فى الأمر .

فرانك : ما الذى جرى لها ؟

آرشى : لا تسألنى يا ولدى ، لا تسألنى . ما حللت لغزا طول حياتى أبدا .

جين : ليست لديك المقدرة . كنت دائم الانهماك فى كره كل تلك الأشباح الغامضة التى فى الظلام العظيم ، أليس كذلك ؟ لقد كنت ماكرا حقا . (لفرانك) انى أريدك أن تعرف الحقيقة فى شأن أبيك .

فرانك : اسمعى يا چين ، لقد دفن ميك منذ قليل . لقد دفن ولا يريد أحد أن يتحدث فى ذلك أو أن يدخل فى شجار .

جين : ماذا تريد ، دقيقتى صمت ؟ ان أباك ليس كريما وواعيا وعطوفا فحسب ... أنه لا يأبه

بأى انسان . انه يساوى مقدار بنسين من لا شىء .

آرشى : تعم ، لا بد أن أقول أن هذا خير وصف لى .

جين : لست بحاجة لأن تنظر الى . لقد فقدت أنا أخا أيضا . لماذا يريدنا الناس أن نجلس هنا ونكتفى بلف المسألة فى حجورنا ، لماذا يموت الأولاد أو يوقدون الغلايات ، لماذا تقع بنا هذه الأشياء ، وما الذى نأمل أن نحصل عليه منها ، وفى مساندة ماذا هى كلها ... أهى كلها حقا من أجل يد تلبس القفاز وتلوح لك من عربة ذهبية ؟

فوبيا : أظن اننى سأذهب لأنام . (لجين) لقد كان طيبا معى على الدوام .

فرانك : هل أحضر لك قرصا من الاسبرين ؟

جين : أن أحدا لا يصغى لأحد .

فوبيا : شكرا يا عزيزى ، اذا سمحت . (لجين ببساطة) لقد كان طيبا معى على الدوام ، مهما يكن ما فعله ، على الدوام . (تخرج)

فرانك : سأحضر لك تلك البيرة .

بيــلى : عندى دائما ابريق منها على المنضدة فى البيت. معى المفاتيح هنا .

جــين : (لآرشى) لا تستطيع أن تفعلها بها . لن أدعك.

بيــلى : نعم ها هى.

آرشى : يريد أن يعرف ما اذا كنت قد جددت التذكرة . كل شىء على ما يرام ... حصلتُ على ثــلاثة شهور تجديدا لها .

بيــلى : آه ؟ (لچين) هناك .

جــين : ما هــذا ؟

بيــلى : ماذا جرى ... هل آذانكم اللعينة فى حاجة الى الحقن ؟

فرانك : أتريد شيئا من البيرة يا جدى ؟

بيــلى : أن أحدا لا يصغى لأى كلمة لعينة تقولها .

فرانك : قلت هل تريد شيئا من البيرة ؟

بيــلى : تلك هى العلة هــذه الأيام . كل انسان منهمك جدا فى الرد والكلام على هواه بدلا من انهاء الأمر والعمل بما يقال له . لا ، أنى ذاهب الى

الفــراش اذ على أن أبكر فى الخروج غــدا .
(لآرشى) فى أى وقت قلت ؟

آرشى : حوالى التاسعة .

فرانك : أين أنت ذاهب ؟

بيــلى : أبوك وأنا لدينا عمل معا . كان غريبا كل هؤلاء الناس الذين خلعوا قبعاتهم لميك الصغير اليوم.

فرانك : معظمهم لم يكونوا لابسين قبعات على أى حال.

بيــلى : فى أيام شبابى كان كل رجل ــ وكان كل رجل يلبس قبعــة فى تلك الأيام ، لــوردا كان أم جزارا ــ كان كل رجل يرفع قبعته عندما يمر بقبر الجنــدى المجهــول ، حتى فى ســيارات الأتوبيس . وفى هذه الأيام راقبت الناس الذى يمرون به غــير ملقين حتى مجرد نظــرة ، ولو نزعت عنه الأعلام فانى أتوقع أنهم سيجلسون عليه ويأكلون ساندوتشاتهم .

آرشى : كنت الآن أفكر فى ميــك الصغير وســيلفيا . كانت طفلة جميلة جذابة . وانى لأتساءل ماذا تفعل الآن . وأتساءل هل قرأت عنه فى الصحف حيث صار بطلا وطنيا وقتــل . ما أظن انهــا نسيته . هل تظنون ذلك ؟

فرانك : انى لأظن هــذا . هل أستطيع أن آخذ شــيئا من بيرتك ؟

آرشى : تفضل . انى لأذكر كيف قلقت على ســيلفيا . لم استطع أن أعرف الحقيقة من ميك الصغير ، وظننت أنها قاصر وهذا ما أقلقنى بعض الشيء، فحاولت أن أحادثه فى ذلك ولكنه كان يظن بى على الدوام نوعا من الغباء ، هذا صحيح كما تعلمون . أوه ، لم أكن أكترث لهــذا بل كنت أحبــه . (لچين) الحق أنه لم يأخــذنى على محمل الجــد ، فهمهمت وقلت له آخر الأمر : « حسنا ، اسمع يا ولدى ، من الواضح اننى لست بحاجة الى أن أوصيك بأن تكون حذرا». فلم يفعــل الا أن ابتسم فشعرت فجــأة بأننى كقسيس منهار . ولذا قلت له : « حسنا ، على كل حال انت تعلــم ما هو سن الرضا ، أليس كذلك ؟ » فجلس هناك بهذه الابتسامة المريعة على وجهه وقال « ستة عشر » .

جــين : الى أين ستأخذ بيلى غدا ؟

آرشى : أظن أننى مضطــر للعودة الى برايتــون حيث أصير من جوابى الشاطىء .

فرانك : (لچين) هل لديك اسبرين ؟ يبدو أنه لا يوجد شيء منه هنا .

آرشى : ادلنز ... هذا هو المكان . فى أقصى برايتون .

جين : (تعطى الاسبرين لفرانك) ألا تعلم ماذا يحاول أن يفعل ؟

آرشى : يمكنك أن تسكر سكرة طيبة من بيرة السايدر عندهم ببضع بنسات .

فرانك : لمـــاذا لا تتركهم فى حالهم ؟

آرشى : لم أذقه منذ سنين . بكم كان ؟

جين : انه يفكر فى تطليقهـــا . انه يفكر فى أن يطلق فوبيا . لقد رأيتها ... تلك البنت التى يريد أن يتزوجها . انه مجنون ، هذا هو فى حقيقتـــه . ما الذى سيحدث لها ؟ (تومىء الى الدور الأعلى).

فرانك : ما الذى سيحدث لكل منا ، اســـمعى يا چين. يا حبيبتى ... يا حبيبة قلبى : انك لن تستطيعى تغيير أى انسان ...

جين : هل رأيتها ؟ لقد ضبطتهما معا أمس فى الروكليف، وحققت النظر منها ، انها عذراء محترفة .

آرشى : انى أتساءل كيف تكون الآن . (لبيــلى) كم كان ثمنها ؟

فرانك : الأفضل أن آخذ هذه (الاسبرين) اليها

بيــلى : ما هى ؟

آرشى : بيرة السايدر أيها المخرف العجوز .

بيــلى : وكيف لى بحق الجحيم اللعين أن أعرف ؟ انى لم أشرب هذا الشيء أبدا .

آرشى : نعم ان بها بعض الحموضة على ما أظن .

بيــلى : حوالى بنس على ما أعتقد ، بنس للكوز .

آرشى : أتوقع أن يكون حوالى شلن الآن .. (ســكتة قصيرة) ويمكن شرب البيرة كذلك .

جــين : (لآرشى) انهــا جميلة ، انهــا مدللة ، انهــا مغرورة ، وانها غبية . وربما كان أبواها غبيين . ولا بد أن يكونا كذلك . لا بد أن يكونا غبيين اذ أنجباها ... من لا شيء من طراز سنة ١٩٥٧ .

آرشى : هذا صحيح .

جــين : كم عمرها ؟

آرثى : عشرون سنة .

جين : عشرون . انهما لغبيان على ما أعتقد وسيسمحان لها حتى بالزواج منك .

آرثى : وللعلم ، أعتقد انى لم أصادف سوى امرأة واحدة ذات عاطفة قوية ، من النوع الذى أسميه ذا عاطفة قوية حقا . ولقد تزوجت زواجا سعيدا . كان اسمها ايفى .

جين : أعتقد انك تفكر فى حملهم على أن يقدموا لك بعض المال أيضا .

آرثى : كانت هذه هى الفكرة .

جين : انك ستحملها على أن تضع حلقة فى أنفك وتوهم نفسك بأنك لا تحس بها لأنه لم يعد يهمك شيء . كما لا يهمك أى انسان . تظن أنك ان لم تستطع أن تنالها فلن يستطيع ذلك غيرك !! وماذا عن فوبيا ؟

آرثى : ايفى وليامز ، كان هذا هو اسمها . مسز ايفى وليامز . مسز ايفى وليامز .

بيلى : حسنا ، أنا ذاهب . من الذى سنقابله : روبنز ؟

بيــلى : كلاين .

بيــلى : شارلى كلاين . شارلى كلاين العجوز . كنت فى أول فرقة متجولة شكلها فى حياته ، أتعلم هذا ؟

آرشى : فى الثانية عشرة والنصف .

بيــلى : كان أصغر من چينى هــذه . وجعلته عضوا فى النادى الرياضى الوطنى . أنا الذى أدخلته .

آرشى : انه ابن حرام قوى .

بيــلى : أوه : شارلى يجب أن يكون على ما يرام . أنا الذى جعلته يوقع تعاقدا مع ادى درامر . الفنان العظيم ادى . ظل يكسب ألفا كل أسبوع لمدة خمس وعشرين سنة دون أن يتغــير . انه ولد طيب . هو من ذلك الطراز المعتــدل . لم يكن واحدا منا نحن القدامى الحقيقيين ، كما أنه لم يكن وحدا من أولئك المحدثين الذين يقدمون أعاجيب الخمس الدقائق فى الميكروفون . ليست عندهم الشخصية الحقيقيــة الآن . كان ادى ذا أسلوب دائما ولم تكن هناك أى شبهة أذى فى أى شىء يفعله . كان لنا جميعا أسلوبنا الخاص، وأغانينا الخاصة ... وكنا جميعا انجليز . والأهم

من هــذا اننا كنا تتكلم الانجليزية . كان الأمر مختلفا . كنا جميعا نعلم ما هى القواعــد . كنا نعلم ما هى القواعــد وحتى لو قضينـا نصف أوقاتنا فى جعل الناس تضحك منها فاننـا لم نقترح أبدا بصفة جدية أن يحاول أى انسان خرقهـا . الممثل الحق هو رجــل حق ، وكل ما يحتاجه هو قطعــة من القماش تدلى وراءه وهو قادر بعد ذلك على أن يجعــل المشاهدين ملكا له لمدة نصف ساعة . انه يشبه عامة الناس وانما هو أكثر شــبها بهــم من أنفسهم ، اذا فهمتنى . حسنا ، ما زال ادى هناك على مايرام. (لجين) كنت دائما أقــول له : بل كنا دائمـا نقول : « ادى ... كن طيبا على الدوام مع من تلتقى بهم فى صعودك لأنك قد تعود فتلتقى بهم فى هبوطك » . ادى العجوز ، انه واحــد من العظماء الحقيقيين كما ينبغى أن أقول . ينبغى أن أقول بل لعله الأخير . نعم ، ينبغى أن أقول لعله الأخير .

(يخرج) .

جــين : ماذا أنت فاعل ، ماذا ستفعل به ؟ لست تنوى أن تعيده مرة أخرى الى المهنة ؟

آرشي : روبنزوكلاين الساعـة الثانيـة عشرة والنصف من صباح غد ...

جـين : انك ستقتل هذا الرجـل الشيخ لمجرد انقـاذ فرقتك الهزيلة المهلهلة التى لا خير فيها ...

آرشي : ليس لمجرد انقـاذ فرقتى الهـزيلة المهلهلة التى لا خير فيها ، بل لانقاذ أبيك المهلهل الذى لاخير فيه من دخول السجن . قد لا يقبل الناس على رؤية آرشي ولـكن لعلهـم ما زالوا يتذكرون بيلى رايس . انه أمر يستحق التجربة على كل حال .

جـين : أأنت مقدم على هدم هذا أيضـا ؟ انه الشخص الوحيد فينا الذى عنده أى كرامة أو احترام لنفسه ، انه الشخص الوحيد فينا الذى عنده أى شيء على الاطلاق ، وأنت مقدم على قتله . ستأخذه الى ... من ذلك ؟ .. روبنز وكلاين غدا فى الثانية عشرة والنصف ، وستجعل مستر روبنز ومستر كلاين يوقعان شـهادة وفاته . ما الذى تحمل نفسك على الاقدام عليـه الآن ؟ كيف استطعت بالله أن تقنعه بأن يفعل شـيئا كهذا ؟ ما الذى جرى لـه ؟ ما الذى أصـاب غريزة المحافظة على الذات عنـده ؟

آرشى : انه يحس بأنه مدين لى بهذا .

جين : مدين لك !! مدين لك !! بيلى ليس مدينا لك ولا لأى انسان بأى شيء .

آرشى : انظرى ، قبل أن تشغلى نفسك بمحاضرتى عن النظافة الداخلية ذهب بيلى وفعل شيئا ما . لقد ذهب فقابل والدىّ صديقتى الفتاة ، العذراء المحترفة التى رأيتها فى الروكليف . ذهب وقال لهم انى رجل متزوج ذو ثلاثة أولاد كبار . ثلاثة معترف بهم ... على أى حال . غير أنى لا أظن بيلى العجوز كان فى حاجة الى أن يذكر بقيتهم .

جين : وهل أفسد المسألة ؟

آرشى : أوه ، نعم ... نهائيا . كما ترين لم أكن قد ذكرت لهم شيئا عن ... عن فوبيا ولا عنكم جميعا .

جين : لا ، أعتقد أنك ما كنت لتقول .

آرشى : واذن فأنت ترين أنك لم تكونى مخطئة يا چينى يا حبيبتى . فى شأن فوبيا على أى حال ... وآرشى العجوز سوف لا يظفر بعيشه آخر الأمر .

(١١)

آرشى : سيداتى وسادتى . بيلى رايس لن يظهر الليلة . بيلى رايس لن يظهر مرة أخرى . كنت أتمنى أن أغنى أغنيــة له ... فى مكانه . أغنيــة وداع ، ولكنى نسوء الحظ لا أستطيع . ولن يستطيع أحد . لن يستطيع واحد منا على كل حال .

(يخرج) .

(الستار الخفيف الأمامى . موكب جنازة من آرشى وفوبيـــا وجين وفرانك وجراهام والأخ بيل . يجتمعون حول نعش فى منتصف المسرح مسجى بالعلم البريطانى وعليه قبعة بيلى وعصاه وقفازه . فى الخلفية لقطـــات من الأغانى القديمة والأنغام ودقة البانجو) .

تلاشى الى :

(١٢)

(الى اليســار فى المقدمة ضوء يغمر آرشى والأخ بيل . الى اليمين فى المقدمة ضوء على جين وجراهام . الأخ بيل يبدو كمحام بارز نلجح جــدا ، كمـــا هو الواقع . جراهام دود قــد يكون مثله بعد ثلاثين سنة بشرط أن يكون ناجحا . هنالك كثير من هؤلاء ...

حسنو الهنـــدام ، مطمئنون ، نالوا قسطا وافيـــا من التعليم ، كفـــايتهم العاطفيـــة والعقلية محدودة الى درجة امكان اطراحها من الناحية العملية . لديهم عجز ساحق عن أن يلائموا أنفسهم مع أى انسان فى ظروف تختلف حتى بأقل القليلمع ظروفهم الخاصة. جراهام دود لا يحتاج الى وصف كثير . اذا كنت لا تستطيع أن تتميزه فمرجع ذلك الى سبب واحد . المحاورتان التاليتان مستقلتان ولكنهما تجريان معـــا) .

جراهام : بكل اخلاص يا جين ، أنا لا أقصد أن أكون فظا . أعنى أن من الفظاظة أن آتى فأقولها . ولكنى لا أستطيع أن أرى ما الذى يمكن أن يكون صفة مشتركة بينك وبين أى منهم .

جـــين : لا تستطيع ....

جراهام : نعم أنهم أسرتك ، وما الى ذلك ، ولـــكن فى آخـــر الأمر تجىء نقطـــة ، تجىء نقطـــة فى الأمور ...

آرشى : لكم كان شيخا طيبا . حقا لقد كان . أتدرى من قال هذا ؟ شارلى كلاين . شـــارلى كلاين قال ان بيلى الشـــيخ كان أظرف عجـــوز فى المهنة .

جراهام : ... فقد لا يبقى عليك أى مسئولية للناس .

آرشى : ومازال آرشى ممثـــلا من الدرجـــة الأولى . مازال ممثلا من الدرجة الأولى .

جراهام : ... انها بيئتك وقد نشأت فيها ، ولكن هنـــاك أشياء أفضل وأجدر بالاعتبار فى الحياة .

آرشى : لقد كان واحدا من العظماء ، الحقيقيين .

جـــين : آسفة يا جراهام . انى باقية مع فوبيـــا . قلت لك أننى اتخـــذت قرارى فى الواقع قبـــل أن أســـافر . لا أستطيع أن أتزوجك ، وما عدت راغبة فى ذلك . وعلى أى حال فان عـــلى أن أبقى هنا . فالآن وقد مات بيلى أصبحت فوبيا فى حاجة الى من يبقى بجانبهـــا . وفرانك راحل الى كندا فى ظرف أسبوعين ....

آرشى : جين تعتقد انى قتلته .

الأخ بيل : انك لم تقتله يا آرشى ، فالناس لا يقتلون بهذه السهولة . لا أظن هذا .

جـــين : نحن نعيش بأســـلوبين مختلفـــين . أنت وأنا لا نتنفس حتى بنفس الطريقة .

الأخ بيل : اسمع يا آرشى ، هـــذه آخـــر فرصة أمامك . أصبح من المحتم أن تكون فى كندا . انت وفرانك وفوبيا ، تستطيعون جميعا أن تسافروا معا . لقد حجزت كل تذاكر الســـفر لكم وهى معى فى جيبى . وهذه تذكرتك . فى وسعكم أن تذهبوا وتبدآوا حياة جديدة أنتم الثلاثة .

جراهام : أوه ، ما هـــــذا الا كلام فارغ . أنت لست مختلفة عنى . لقـــد كنت تحبيننى ، أنت قلت هـــذا . ولقـــد استمتعنا بأنفســـنا معا ، وفى استطاعتنا أن نصنع حياة طيبة ، فأمامى مستقبل محترم موطأ ، وسيكون لنا كل ما نحتـــاجه ، عودى معى يا چين .

آرشى : انك لا تستطيع الحصـــول على بيرة باص فى تورنتو . لقد جربت ذلك .

جـــين : ألم تركب مرة قطار سكة حديد هنا ، قطارا من برمنجهام الى وست هارتلبول ؟ أو ذهبت من ما نشستر الى وارنجتون أو ودنس ، ثم خرجت ومشيت فى الشارع وعلى أحد الجانبين قد ترى مصنعا كيمائيا وعلى الجانب الآخر حظائر بضائع السكة الحديد ، وبعض الأطفـــال يلعبون فى

الشارع . قد تصل الى امرأة واقفة على عتبة باب بيتها . انها ليست عتبة باب فى الواقع لأنك تستطيع أن تصل رأسا من الشارع الى حجرتها الأماميه . ماذا يمكنك أن تقوله لها ؟ أى نبأ حق ، أى رسالة تستطيع أن تحملها اليها ؟ هل تقول لها : « سيدتى ، هل تعلمين أن المسيح مات على الصليب من أجلك ؟ » .

الأخ بيل : هذه التذاكر لك يا آرشى فخذها . سأدفع كل ديونك ، وسأسوى كل شيء ، واستوثق من أنه لن يحدث شيء .

جسين : وعندئذ تنظر المرأة اليك وتقول : « أوه نعم ، لقد سمعت كل ما قيل عن هذا » .

آرشى : ما الذى يحدث اذا لم أسافر ؟

الأخ بيل : لن أفعل شيئا لك لتبقى هنا يا آرشى . لا شيء بعد ذلك . كل ما فى الأمر اننى أخشى أن سيكون عليك أن تحتمل النتائج . فاما كندا واما السجن .

آرشى : أتعلم أننى اعتقدت على الدوام أن لابد من أن أدخل السجن . وانى لاظن أنه لابد أن يكون

أمرا مسليا . فمن المؤكد انى سأقابل شخصا أعرفه . أتعرف ماذا كانت تقوله صاحبة البيت فى فولهام عنك ؟ كان من عادتها أن تقول : « انه يبدو كما لو كان محافظ المدينة » . كانت دائما تقولها ... دون نسيان .

جراهام : كل ميسر لما خلق له . أليس هذا ما كان يقوله أبوك ؟

آرثى : انك لا تستطيع أن تحصل على أى شىء من مكتب العمل هذا على كل حال . يجب أن يكون عندهم فى هذا المكان ضجة أكثر من أى مدينة أخرى فى انجلترا . أوه ، حسنا شكرا لك على أى حال ، حفلتان أخريان فقط ، مع أن الأمر يدعو للرثاء ... كان بودى أن ، بودى أن أسجل الواحدة والعشرين ضد محصل ضريبة الدخل . لن أتمكن من بلوغ الحادية والعشرين الآن . لقد كان شيئا مفرحا أن تحصل على مفتاح الباب بطريقة ما .

جين : وها نحن ، نحن وحيدون فى هذا الكون ، وكأنما لا اله هنا لك ، لكأنما بدأ الأمر كله بشىء بسيط بساطة شعاع الشمس اذ يضرب فى قطعة من

الصخر . وها نحن أولاء لا نملك الا أنفسنا .
ومع هذا فان علينا أن نمضى بها . نحن لا نملك
الا أنفسنا .

الأخ بيل : أنا آسف يا آرشى ، ولكننى قد تخليت عن محاولة الفهم .

(يتلاشى الضوء) .

(١٣)

(روك آندرول . تابلو عراة وراء ستار الفصل الأول الخفيف . بريتانيا . بعد هذا موسيقى آرشى رايس، الواحدة والوحيدة ، تقاطع البروجرام . يظلم المسرح . ضوء كاشف على الزاوية المناسبة ويدخل آرشى. يغنى بعض فواصل من « نحن جميعا فداء العجوز الطيبة رقم ١ ») .

آرشى : « نحن جميعاً فداء للعجوز الطيبة رقم واحد
يا انجلترا العجوز الطيبة ، أنت لى كقدح الشاى
ولكننى لا أريد مساواة باهتة .
لا تدعوا مشاعركم تتوزع
ولكن اذكروا ان الاحسان يبدأ داخل الوطن .
سنحافظ عليك ونرفعك أيها العلم .

أوه ، فرقم واحد هي الواحد الأوحد عندى
نحن جميعا فداء للعجوز الطيبة رقم واحد .

لقد جئت الآن لأخبركم عن الزوجة . لقد عادت الى زوجها . عادت رأسا . لا تصفقوا بشدة فنحن جميعا فى بناء قديم جدا . نعم قديم جدا . قديم . وماذا عن هذه . وماذا عنها ، آه ... هذه السيدة التى تلبس الخوذة . أظن أنها تتمايل قليلا ، اذا سألتمونى . انها تريد شيئا من لحم البقر يوضع فيها ... لحم البقر المحمر الذى كان لانجلترا القديمة . لا ، لا يوجد من يسألنى ، لا بأس . زوج من البيض المقلو اللذيذ على كل حال . انها فتاة طيبة مع ذلك ... فتاة طيبة . مخلصة لشارلى هنا ... أليس كذلك يا شارلى ؟ (لقائد الفرقة) قابلته فى باب دوار ومازالا يدوران معا منذ ذلك الحين . انى أحير نفسى ، تعلمون ذلك ، ألا تعلمون ؟ انى أحير نفسى هنا . عرايا ، هذا ما يسمونهن به يا سيدتى ، عرايا .

ويحى ان عليها من الملابس أكثر مما على . انه كثير من الوقار ، هذا كل ما هنالك . كثير من

الوفار . أوه ، لقد أضفت سطرا هنا . لابأس . لايهم . لقد كان لى بعض السقطات فى حياتى . بالشرف كان لى . أنتم تعتقــدون اننى كنت جــذابا جنســيا فى منظرى ، أليس كذلك ؟ لا بالشرف ، لا تعتقــدون . اتعتقــدين أنت يا ســيدتى . انى أعتمد دائمــا عــلى أنكم ستصبحون أقوى بعدها . (يغنى) « قولى ان فطيرتك لذيذة ، ولكنها لا تقارن بفطيرتى » . يوجد فى هذا الجانب رجل يلبس قناعا، تعرفون ذلك ، ألا تعرفونه ؟ انه ، انه واقف هنــاك ، أستطيع أن أراه ، لا بد أنه محصــل ضريبــة الدخل . ان الحياة مع هذا عجيبة،أليس كذلك؟ انها لكذلك ... الحيــاة عجيبة . انهــا كمص الحلوى وهى ملفوفــة بالورق . أوه حسنا ، اننا جميعا نعمل فى صناعة الأســمدة الآن على ما أعتقد . حسنا أنا أفضل أن أتعاطى زجاجــة بيرة فى أى يوم . هــذا ما أفضــله . انكــم لا تصدقوننى . ولكنى أفضــل ذلك . تظنون اننى انتهيت ، أليس كذلك ؟ هيــا قولوهــا ، تظنون اننى انتهيت . لقد انتهيت . تظنون اننى انتهيت ، أليس كذلك ؟ حسنا ، لقد انتهيت .

ما الذى جرى ؟ أتشعر بالبرد انت سماك ؟ قبل أن أنتهى بالفعل سيداتى سادتى ، أحب فقط أن أحكى لكم حكاية صغيرة ، حكاية صغيرة ، هذه الحكاية عن رجل . مجرد رجل صغير عادى مثلكم ومثلى . صحا من نومه ذات يوم فوجد نفسه فى الجنة . فتطلع فرأى رجلا واقفا بجانبه ، واتضح أن هذا الرجل قديس أو شىء من هذا القبيل ، على كل حال فقد كان عضوا فى لجنة الاستقبال . وقال القديس للرجل : « حسنا ، انت الآن فى الجنة » . فقال الرجل : « أهذا صحيح ؟ » فقال القديس « نعم ، وأكثر من هذا فقد كسبت لنفسك السعادة الدائمة » فقال الرجل « أحقا ؟ » فأجاب القديس « بكل تأكيد . أوه انك فى خير حال. ألا تسمع الجماهير ، كل واحد يغنى ، كل واحد مسرور ، ماذا تقول يا ولدى ؟ » .

وعندئذ أجال الرجل الصغير بصره فيما حوله ورأى كل أهل الأرض مصطفين ومن ورائهم الكون ، فقال للقديس « حسنا ، هل أستطيع أن أصعد الى حيث تقف لألقى نظرة شاملة ؟ » فقال القديس « طبعا تستطيع ذلك، يا ولدى »

ثم أفسح له مكانا . فوقف الرجل الصغير حيث كان القديس وتأمل المنظر الذى أمامه ، فى كل جيوش السماء وما يليها . وقال له القديس «ان كل عجائب الأبدية ومباهجها من حولك». فقال «أتعنى أن هذه هى الأبدية واننى فى الجنة؟» قال « هذا صحيح يا ولدى ، فماذا تقول ؟ » فأعاد الرجل النظر حوله قليلا فقال القديس « حسنا يا ولدى ؟ » فأجاب « حسنا ، لطالما تساءلت فيما عسى أن أقول اذا حدث هذا لى يوما ما . لم أستطع أن أتصور هذا من ناحية ما » . فتبسم القديس فى عطف وقال له مرة أخرى « وماذا تقول اذن يا ولدى ؟ » فقال الرجل الصغير «شىء واحد أستطيع أن أقوله» ثم قال « حسنا » فشعر القديس كأن يدا هائلة لطمته على وجهه ، وتوقفت الحشود عن الغناء ، وخبأ الملائكة وجوههم ، وخشعت كل الأصوات فى الجنة لحظة من لحظات الأبدية . واستعصى الكلام على القديس لحظة ، ثم طوق الرجل الصغير بذراعيه وقبله ، وقال له « انى أحبك يا ولدى من كل روحى ، وسأحبك على الدوام . لقد أقمت على انتظار تلك الكلمة

منذ حضرت الى هنا». انه هناك بقناعه الصغيرء أستطيع أن أراه . أوه حسنا . عندى فرصة . أليس كذلك ؟

(يرتفع الستار عن مسرح مظلم عار . تبدأ الموسيقى هادئة . ويقف آرشى رايس على المسرح فى هـالة صغيرة مستديرة من الضوء ويبـدأ اغنيته فى رقة) .

لمـاذا يجب أن أحمل الهم
لمـاذا أتركه يمسنى .
لمـاذا لا أجلس وأبكى
لأتركه يمر من فوقى ؟

(يبـدأ فى التعثر قليلا) .

لمـاذا يجب ....
لمـاذا يجب أن أتركه يتغلب علىّ ...
ما فائدة اليأس ؟

(يتوقف ويحملق أمامـه . الموسـيقى تستمر ثم يستأنف هو) .

لو رأوك وأنت مغموم
فسوف يحتقرونك .

(يحملق ثم يستمر) .

ولذا فلماذا ، أوه ، لـــماذا أشغل نفسى
بحمل الهم .

(تظهر فوبيا من ناحية اليسار تحمـــل
معطف مطر وقبعـــة) .

آرشى : لـــماذا أحمل الهم
لـــماذا أتركه يمسنى
لـــماذا لا ....

(يتوقف . تستمر الموسيقى . ويسير هو
نحو فوبيا التى تساعده على ارتداء معطفه
وتعطيه قبعتـــه . يرتد ثم يعود ثانيـــة الى
دائرة الضـــوء) .

لقـــد كنتم متفرجين طيبـــين . طيبين جـــدا .
متفرجين طيبين جدا . فلتخبرونى أين تشتغلون
مساء غد ... وسأحضر لرؤيتكم .

(يمشى نحو مؤخرة المسرح مع فوبيا .
الضـــوء مسلط على المكان الذى كان يقف
فيـــه .

(آرشى ، يستمر الأوكســـترا فى عزفه
« لـــماذا أحمل الهم » وفجاة تنطفىء هالة
النـــور الصغيرة ، ويصبح المسرح عاريـــا
مظلمـــا . ذهب آرشى رايس ، ولم تبق
الا الموســـيقى .

ســـتار

النهـــاية

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٦٩ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	ــ الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	ــ أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	ــ سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	ــ مروحه ليدى وندمير	أوسكار وايلد
٥	ــ بنيلوبى	سمرست موم
٦	ــ الغربان	هنرى بك
٧	ــ اليكترا	جان جيرودو
٨	ــ توركاريه	ر . لوساج
٩	ــ الدائرة	سمرست موم
١٠	ــ شاترتون	الفرد ديفينى
١١	ــ الأم	كارل تشابك
١٢	ــ اللعبة الغادرة	جون جالزورذى
١٣	ــ لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ــ ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنـــوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شيين أوكاسى
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبـا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ما تعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برناردشو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٣٤	ـ زوجة مستر تانكرى الثانية ...	آرثر وينج بنيرو
٣٥	ـ عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ابسن
٣٦	ـ لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمار
٣٧	ـ سيجفريد	جان جيرودو
٣٨	ـ علماء الطبيعه	فريدرش دورنمات
٣٩	ـ رغبة تحت شجرة الدردار	يوجين أونيل
٤٠	ـ حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	ـ جزاء خدماتهم	سومرست موم
٤٢	ـ ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	ـ بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	ـ الاله الكبير براون	يوجين اونيل
٤٥	ـ حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	ـ آل باريت	رودلف بيزييه
٤٧	ـ الزفاف الدامى	فدريكو جرثنا لوركا
٤٨	ـ الخاطبة	ثورنتن ويلدر
٤٩	ـ اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠	ـ القصى	ترنتيوس أفير
٥١	ـ فترة التوافق	تنيسى وليامز
٥٢	ـ بيرجينت	جون جلزوورذى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٥٣	الابن الأكبر	جون جلزورذى
٥٤	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دورينمات
٥٥	ديدرى فتاة الأحزان	جون ميلنجنون سبنج
٥٦	المسافر بلا متاع	جان انوى
٥٧	الحالمة	المر رايس
٥٨	كلهم أولادى	آرتر ميلر
٥٩	أونديين	جونهولد افرايملسينج
٦٠	مينافون بارنهلم	جان جيرودو
٦١	معطف الفراء	جرهارت هاوبتمان
٦٢	كرنفال الأشباح	موريس دوكوبرا
٦٣	« هو » الذى يصفع	ليونيد أندرييف
٦٤	فتى الغرب المدلل	جون ملنجنون سينج
٦٥	قواعد المبارزة	لويجى بيراند
٦٦	عرفوا ما يريدون	سيدنى هوارد
٦٧	المحراث والنجوم	شون اركيس
٦٨	أميديه	ارجين ينسكو

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : **مؤسسة الخانجى بالقاهرة**

وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »

ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت

الشركة المصرية للطباعة
حسن مدكور وأولاده
٣٠ شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة
تليفون ٥١٥٧١ ـــ ٤٨٩٢١